البحوث والدراسات

السيول في الجزيرة العربية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى وآثارها السلبية والإيجابية: دراسة تاريخية من خلال المصادر الإسلامية

د. هيلة بنت عبدالرحمن السهلي*

ملخص:

تتعرض هذه الدراسة لظاهرة السيول في الجزيرة العربية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى: أسبابها من وجهة نظر الجغرافيين والمؤرخين، مع تحديد الإطار الزمني والمكاني لها، واستقراء الآثار العامة المترتبة عليها – من خلال المصادر التاريخية – سواء كانت على السكان أم الممتلكات العامة والخاصة، وتتبع الإجراءات التي اتخذت للتخفيف من أضرارها معتمدة على المصادر الإسلامية الأصيلة التي أشارت إلى هذه السيول خلال فترة الدراسة، مع تحليل المعلومات الواردة فيها؛ بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة لمختلف جوانب الموضوع، والمعروف أن الجزيرة العربية تقل فيها الأنهار والبحيرات، ولكن قد تسقط عليها الأمطار فجأة بشكل غزير؛ مما يؤدي إلى سيول جارفة؛ فقد ساعدت الأودية في جزيرة العرب على توفير مكان لهذه الأمطار للتجمع في هيئة سيول. وشهدت الدولة الإسلامية على مدار القرون الهجرية الثلاثة الأولى العديد من السيول التي كان لها آثار سلبية على مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية، وعلى الرغم من الآثار السلبية للسيول؛ من هدم للمنشآت وتدمير للممتلكات، فإنه كان لها في الوقت نفسه جوانب إيجابية على المستوى الاقتصادي والتنموي، عززها ما ابتكرته الدولة الإسلامية خلال تلك الحقبة من طرق ووسائل لمواجهة تلك السيول، وتحويلها لعامل بناء وتنمية، من خلال حفظ مياه السيول والتحكم في مساراتها.

* أستاذ مشارك، قسم التاريخ، كلية الآداب، بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية.

تمهيد:

السيول ظاهرة طبيعية عرفتها الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، أدت إلى الكثير من الأضرار البشرية والمادية، والتغيرات السكانية والديموغرافية؛ حيث يهلك البشر، وتتساقط المنازل، وتجرف السيول الزروع.

بل إنها تسببت في هجرة شعوب وأمم عربية قديمة وتفرقها، مثل شعب سبأ الذي تشتت على أثر سيل العرم[١].

ولما للسيول من أثر في حياة سكان الجزيرة العربية، كانت جزءاً من وصف الشعراء العرب، وتشبيهاتهم؛ فقد وصف عمرو بن كلثوم أثر السيول في تضاريس الجزيرة العربية بقوله:

وأعْرَضَت اليَمامَةُ واشمَخَرّت كأسْياف بأيدي مُصْلتينا

حيث يصف عارض اليمامة (جبال طويق) وجروفه المرتفعة التي حددتها السيول كالسيوف المشهرة، ونسب الحاجز الجبلي إلى اليمامة، كما صور امرؤ القيس في معلقته سيلاً جارفاً حدث بالقرب من تيماء؛ حيث كانت منازل بني أسد، اقتلع الأشجار الضخمة، وأنزل العصم من رؤوس الجبال، وجرف النخل[٢]. وفي أغلب الظن أن هذا الوصف ليست فيه مبالغة كبيرة، وأنه ليس خيال شاعر، فأحد هذه السيول هو الذي جرف أمامه سد مأرب المشهور، كما يحدثنا القرآن الكريم ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾[٣]، ولم يكن هذا السد بالبناء

---

(١) اليعقوبي، وضاح. (ت٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **كتاب البلدان**. بيروت. ط١. دار إحياء التراث العربي. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨. ص ص ١١٠– ١١١. المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥هـ/ ٩٥٦م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت. دار المعرفة. ١٩٨٢م. ج١. ص ١٨٢.

(٢) الأنباري، محمد بن القاسم (ت٣٢٨هـ)، **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، ١٩٦٣م، ص ص ٨٠، ٣٨٣.

(٣) سورة سبأ، آية: ١٦.

هين الشأن، وإنما كان سداً أصم عظيم[٤]؛ حيث بدأت بعد هذه الكارثة أولى الهجرات الكبرى التي عرفتها بلاد اليمن، كما عبر عنها الرسول – ﷺ – عند تعريفه بسبأ "رجل من العرب، ولد له عشرة، فَتَيَامَنَ ستة، وتشاءم أربعة؛ تيامن الأزد، والأشعريون، وحمير، وكندة، ومذحج، وأنمار الذين يقال لهم: بجيلة وخثعم، وتشاءم لخم، وجذام، وعاملة، غسَّان[٥]".

بل إن السيول كانت سبباً في نجاة جزيرة العرب من كارثة بيئية وصحية[٦] بسبب تناثر جثث جيش أبرهة الحبشي وهم في طريقهم لغزو الكعبة بعد أن أرسل الله عليهم حجارة من سجيل[٧]، لولا أن الله بعث سيلاً احتمل جثثهم، فألقاها في البحر[٨].

---

(٤) زيدان، جرجي. (١٩٠٨). العرب قبل الإسلام. مصر. ج١. ص١٥٦.

(٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (ت ٧٧٤هـ). **تفسير القرآن العظيم**، صحح بإشراف فضيلة الشيخ خليل الميس. بيروت. ط٢. دار القلم. (د.ت). ج٣. ص٢٠٦. وحديث تفرق أبناء سبأ أخرجه الترمذي في: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (ت٢٧٩هـ). **سنن الترمذي**. موسوعة الكتب الستة. بإشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، الرياض. ط٣. دار السلام. ١٤٢١هـ. أبواب التفسير عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – سورة سبأ، حديث رقم (٣٢٧٥)، وقال الترمذي: حسن غريب، وقال الشيخ الألباني: حسن صحيح.

(٦) تؤدي كثافة الجثث كما في حالة الحروب، إلى أضرار خطيرة على البيئة والصحة العامة. انظر عن ذلك: جرامون، روبرت لافون. (١٩٧٧). **التلوث**. ترجمة: نادية القباني. مراجعة: جورج عزيز. الطبعة العربية: جنيف. شركة ترادكسيم. ص ١٢٨.

(٧) حجارة من سجيل أي حجارة طين. انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (ت ٧١١هـ)**. لسان العرب**. الرياض: ط٣. مكتبة الرشد. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م. ج١١. ص ٣٢٧.

(٨) ابن سعد، محمد بن سعد. (ت٢٣٠هـ). **الطبقات الكبرى.** تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ. ج١. ص ٩٢؛ السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله. (ت٥٨١هـ). **الرَّوْض الأُنُف**. فيما اشتمل عليه حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم. تحقيق: طه عبدالرؤوف. بيروت: دار الكتب العلمية. ط١. مكتبة الحاج. عبدالسلام بن محمد (د.ت). ج١. ص ٧٢.

ومهما يكن من أمر، فقد كان ارتباط السيول بحياة العرب ارتباطاً وثيقاً، حتى إنه اقترن بأسماء بعض القبائل العربية مثل مرة بن بهدلة الذين يقال لهم مرة السيل؛ لأنهم نزلوا ببطن وادٍ، فجاء سيل فذهب بهم[٩].

لذلك تضمنت كتب المؤلفين الإسلاميين، كالطبري[١٠] والأزرقي[١١] البلاذري[١٢]، أخباراً، وإشارات إلى سيول عارمة جارفة أضرت بالمدن والقرى والمزارع والقوافل والسكان.

الطبيعة الجغرافية للجزيرة العربية وأثرها – بإذن الله – في تَكَوّن السيول:

ليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل، بل فيها أنهار صغيرة، أو جعافر، كما قال (فيليب حتى): "إنه ليس فيها نهر واحد بالمعنى المعروف من الأنهار، وما فيها من جداول لا تصلح للملاحة"[١٣]؛ فهي قصيرة كبعض مجارٍ، أو نهيرات صغيرة دائمة كما في عسير واليمن وجهات عدن والأحساء[١٤]؛ وهي لذلك تعد في جملة

---

(٩) البلاذري، أحمد بن يحيى. (ت٢٧٩هـ). **أنساب الأشراف**. تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت. ط١. دار الفكر للطباعة النشر. ١٤١٧هـ/١٩٩٦. ج٤. ص ١٨٥.

(١٠) الطبري، محمد بن جرير. (ت٣١٠هـ). **تاريخ الرسل والملوك**. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٢٢هـ. ط١گ ج ٦. ص ٣٢٥.

(١١) الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن الأزرق الغساني المكي. (ت٢٥٠هـ). **أخبار مكة**. تحقيق: رشدي الصالح. بيروت: دار الأندلس للنشر. ج ٢. ص ص ١٦٧–١٧٠، ٣١١–٣١٢.

(١٢) البلاذري، أحمد بن يحيى. (ت٢٧٩هـ). **فتوح البلدان**، تحقيق: رضوان محمد رضوان. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤٣٠هـ . ص ص ٥٣–٥٥.

(١٣) حتى، فيليب. (١٩٦١). **تاريخ العرب المطول**. بيروت. ط٣. دار الكشاف. جـ ١. ص٢١.

(١٤) وهبة، حافظ. (١٩٦١). **جزيرة العرب في القرن العشرين**. القاهرة. ط٤. مكتبة النهضة المصرية. ص ٢.

الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يغلب عليها الجفاف، ويقل فيها سقوط الأمطار، ولذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان، غير أنها كثيرة الأودية، تطغى عليها السيول عند سقوط الأمطار، فتصير وكأنها طاغية مزبدة(١٥).

ومما يدل على أن كثرة الأودية في جزيرة العرب ساعدت هذه الأمطار الغزيرة على التجمع في هيئة سيول، ما ذكره ياقوت الحموي من أن تسعة عشر وادياً تمر في شبه جزيرة العرب(١٦). ووديان شبه الجزيرة العربية الداخلية في الغالب طويلة، وغير عميقة تجري فيها المياه وقت سقوط الأمطار وأطول هذه الوديان وادي الرمة(١٧).

وتعد بلاد اليمامة قريبة من الوديان التي تستقبل مياه الأمطار والسيول، منها أوْدية كثيرة كبيرة، يتَّجه أغلبُها نحو الشرق، أو الجنوب الشرقي، ومن أشهَرِها، بحسب تدرُّجها من الشمال إلى الجنوب: وادي مرخ، ووادي المشقر، وعندما تحدث ابن المجاور عن أودية نجد ذكر أنها عشرة أودية، وأنها إذا مطرت سالت في فلاة نجد، ويصل أواخرها إلى البحر(١٨)، كما ذكر الهمداني أن وديان

---

(١٥) جواد، علي. (٢٠٠١). **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**. بغداد: ط٢. دار الساقي. ج١. ص١٥٧. والزَّبَدُ زَبَد الماءِ والبعير والفضةِ وغيرها وزَبَدُ الماءِ طُفاوتُه وقَذاه، والجمع أَزْباد. انظر عنه: ابن منظور، **لسان العرب**. ج ٣. ص ١٩٣.

(١٦) الحموي، ياقوت شهاب الدين بن أبي عبدالله ياقوت. (ت ٦٢٦هـ). **معجم البلدان**. تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط. ج٥. ص ص ٣٤٣-٣٤٦.

(١٧) الأصفهاني، الحسن بن عبدالله. (ت: القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي). **بلاد العرب**. تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي. (١٩٦٨). الرياض: دار اليمامة: ص ٦٩.

(١٨) ابن المجاور، يوسف بن يعقوب. (ت ٦٩٠هـ). **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**. تحقيق: ممدوح حسن محمد. بور سعيد. مكتبة الثقافة الدينية. ١٩٩٦. ص ٢٥٠-٢٥١.

اليمامة بما فيها وادي العرض (وادي حنيفة) تجتمع سيولها في جو الخضارم[١٩].

ومن أودية الحجاز المهمة وادي العقيق[٢٠]، وسمي بهذا الاسم؛ لأن ماء السيول هي التي شقته، وهو مشتق من عق بمعنى شق، وعقيق مفرد أعقة وهي الأودية التي شقتها السيول[٢١]، ويقع في جنوب المدينة على عدة أميال منها[٢٢]، ويعد وادي بطحان من أودية المدينة الكبار، وهو يتوسط بيوت المدينة، ودور الأنصار غالبها على حافتيه شرقاً وغرباً[٢٣].

---

(١٩) الهمداني، الحسن بن أحمد. (ت٣٣٤). **صفة جزيرة العرب**. ليدن: مطبعة بريل. ١٨٨٤. ص٢٥٣. وهي ما يعرف اليوم بالخرج، والخرج اسم قديم استخدمه الهمداني وغيره. انظر عنها: الدامغ، فهد عبدالعزيز. **بلاد الفلج "الأفلاج" والخرج بين الهمداني (٣٤٥هـ/ ٩٥٨م) وناصر خسرو (٤٨١هـ/ ١٠٨٨م)**. الرياض: الجمعية التاريخية السعودية. الإصدار الثلاثون. صفر ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. ص ١١٥.

(٢٠) الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق. (ت ١٩٨هـ/ ٨١٣م). **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**. تحقيق: حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة. ١٩٦٩. ص ٤١٣.

(٢١) ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٢٥٥.

(٢٢) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي. (٣٦٧هـ). **صورة الأرض**. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د. ت). ص٣٨؛ الأندلسي أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري. (ت٤٨٧هـ). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا. بيروت. ط٣. عالم الكتب. ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. ج٣. ص١٥٣؛ السمهودي، نور الدين علي المتوفى (ت٩١١هـ). **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**. ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م. ج٣. ص١٠٤٠، ١٠٤١.

(٢٣) ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري. (ت٢٦٢هـ). **تاريخ المدينة**. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. جدة. ١٣٩٩هـ. ج١، ص١٠٧؛ البكري، **معجم ما استعجم**، ج١، ص٢٥٨، ج٢، ص٦٩٨؛ الورثيلاني، الحسين بن محمد الورثيلاني. (ت١١٩٣هـ). **نزهة الأنظار في فضائل علم التاريخ والأخبار**. بيروت: ط٢. دار الكتاب العربي. (د. ت). ص ٢٦٥.

ويعد وادي العقيق مع الغابة مجتمع الأسيال[٢٤]، أما وادي مهزور، وهو من أودية المدينة في الجنوب الشرقي؛ منها حيث يأتي من الحرة الشرقية (حرة واقم)[٢٥]، ويتميز بشدة فيضانه إذا سالت فيه الأمطار حتى كان يخشى منه الغرق[٢٦]، ويلتقي وادي رانونا مع بطحان قبل اتصال الاثنين بوادي قناة[٢٧]، وهو من أودية المدينة الكبيرة، ويمتاز بطوله؛ فهو يأتي من جهة الطائف[٢٨]، من سد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان القرشي الأموي، وتلتقي هي ووادٍ آخر عند الجبل الذي يقال له مقمن أو مكمن[٢٩]، ووادي مذينب وهو شعبة من سيل بطحان[٣٠]، أما وادي القرى، فهو يستمد مياهه من السيول التي تنحدر إليه من العيون التي عند خيبر، ثم يتجه غرباً حتى يصب في البحر الأحمر جنوب قرية (الوجه)، ووادي القرى وادٍ مهم؛ لأنه كان ممر القوافل التي كانت من أهم وسائل

---

(٢٤) الورثيلاني. **نزهة الأنظار**. ص ٢٦٥.

(٢٥) ابن شبة، **تاريخ المدينة**. ج ص ١٠٨، ١٠٩؛ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص٢٣٤؛ العلي، صالح أحمد. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). **الحجاز في صدر الإسلام: دراسات في أحواله العمرانية والإدارية**. بيروت: ط١. مؤسسة الرسالة. ص ص٤٨٨، ٤٨٩؛ الشريف، أحمد. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). **مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول – صلى الله عليه وسلم –**. القاهرة: دار الفكر العربي. ص٣١١.

(٢٦) ابن شبة، **تاريخ المدينة**. ج١. ص١٨؛ ياقوت. **معجم البلدان**. ج٥. ص٢٣٤؛ السمهودي. **وفاء الوفا**. ص١٠٧٦.

(٢٧) ابن شبة، **المصدر السابق**، ج١، ص١٠٧؛ ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج٣، ص١٩؛ السمهودي، **المصدر السابق**، ج٣، ص١٢١٦.

(٢٨) البكري، **معجم ما استعجم**. ج٣. ص١٠٩٦؛ ياقوت الحموي. **معجم البلدان**، ج١، ص٤٦٦، ج٤. ص٤٠١؛ الشريف. **مكة والمدينة**. ص٣١١.

(٢٩) السمهودي، **وفاء الوفا، ج٣، ص ١٠٧٢.**

(٣٠) المراغي، زين الدين أبي بكر. (ت ٨١٦ هـ). **تحقيق النصرة بمعالم دار الهجرة**. تحقيق: محمد عبدالجواد الأصمعي. المدينة المنورة. ط٢. المكتبة العلمية. ١٤٠١هـ. ص ١٨٧؛ السمهودي، **وفاء الوفاء**، ج٣، ص ١٠٦٧.

نقل التجارة في العالم القديم[٣١]، كما يعد فخ وادي مكة الأعظم[٣٢]، أما وج فهو من أكبر أودية الطائف[٣٣].

ويعد وادي الفرس من أعظم الأودية التي تنحدر إلى خيبر، ويجتمع فيه عدد من الأودية منها: وادي الروم، ووادي القصيبة، ووادي البحرة وغيرها من أودية تلك الجهة، ومن الأودية المهمة أيضاً التي ذكرت وادي اليمامة[٣٤]، أما وادي الشظاة، فينتهي إلى مجتمع السيول؛ أي سيل بطحان، والعقيق، والزغابة، والنقا وغراب من جهة الغابة[٣٥]، ويسكب ذو صلب ورانونا في سد عبدالله بن عمرو بن عثمان[٣٦].

وعلى الرغم من وجود أودية عديدة في عُمان فإن المصادر الإسلامية لم تذكر منها سوى وادي التنعيم[٣٧].

ومهما يكن من أمر، فإن مصبات هذه الأودية كانت تقع على ساحل خليج عُمان مثل قلهات[٣٨]، وصرواح[٣٩]، وصحار[٤٠]، وغيرها[٤١].

---

(٣١) الهمداني. **صفة جزيرة العرب**. ص ١٣١؛ أبو شهبة، محمد بن محمد. (١٤٢٧هـ). **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**. دمشق. ط٨. دار القلم. ج١. ص ٥٤.

(٣٢) الأزرقي، **أخبار مكة**. ج ٢. ص ٢٨٢.

(٣٣) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٥. ص ٤١٦.

(٣٤) الحربي، **المناسك**. ص ٤١٣.

(٣٥) المراغي، **تحقيق**، ص ١٩٢.

(٣٦) المراغي، **المصدر السابق**، ص ١٨٦.

(٣٧) البكري. **معجم ما استعجم**. ج١. ص ٢٠٠.

(٣٨) قلهات: مدينة بعُمان على ساحل البحر، ترسوا فيها السفن القادمة من الهند. انظر عنها: ياقوت الحموي. **معجم البلدان**، ج ٤، ص ٤٤٦.

(٣٩) حصن باليمن قرب مأرب، وصرواح اليوم إحدى مدن عُمان. انظر عنها: ياقوت الحموي، **المصدر السابق**، ج ٣، ص ٤٥٧.

(٤٠) صحار قصبة عُمان مما يلي الساحل، وهي مدينة طيبة الهواء والخيرات والفواكه. انظر عنها: ياقوت الحموي، **نفسه**، ج ٣، ص ص ٤٤٦-٤٤٧.

(٤١) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (٢٠٠٥). **المرجع في تاريخ الأمة العربية**. تونس. ج١. ص ٤٩٦.

أما الوديان التي تتجه إلى بحر القلزم (البحر الأحمر) فإنها ذات مجرى أعمق وأكثر انحداراً، وهي تكاد تكون معدومة النفع، وتعد عقبة في سبيل المرور من الشمال إلى الجنوب، وهي لا تكون واحات مثل مياه الأودية الأخرى(٤٢)، وأشهر هذه الأودية هو وادي الحمض "وادي أضم"(٤٣).

وتعد المناطق الجبلية في الجزيرة العربية عرضة لكثرة السيول أكثر من غيرها، لذلك تميزت جنوب الجزيرة العربية بكثرة السيول؛ إذ إن جبال اليمن، وعُمان، وحضرموت ما هي إلا حواجز تصطدم بها الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندي فتسقط أمطار كثيرة على سفوح الجبال وقممها، ثم تتجمع كميات المطر لتشكل سيولاً قد تكون عارمة منحدرة باتجاه البحر(٤٤).

وذكر الهمداني في بلاد اليمن سبعين وادياً، تفضي سيولها إلى وادي أدنة(٤٥)، أعظم أودية اليمن وأكبرها(٤٦).

زد على ذلك أن وجود منخفضات في بعض مناطق الجزيرة العربية جعلها بؤرة لتجمع السيول؛ فقد كانت تيماء تقع في منخفض من الأرض؛ حيث تتحدر السيول إلى هذا المنخفض من الجنوب، ومن الشرق مارة ببلدة تيماء وبساتينها(٤٧).

---

(٤٢) وهبة، **الجزيرة العربية**، ص ٢.

(٤٣) ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر. (ت:٢٩٠هـ/ ٩١٢م). **الأعلاق النفيسة**. بيروت. ط ١. دار إحياء التراث العربي. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨. ص ٧٦.

(٤٤) الشيال، علي حسين (٢٠١٠).. **دور العرب في تشييد القنوات الأروائية**. مجلة سر من رأى. العدد ٢٢. السنة السادسة / تشرين الأول. ص٢٦١.

(٤٥) الهمداني. صفة جزيرة العرب. ص ٧١-١١٧.

(٤٦) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٨٠؛ القدسي، محمد عبدالباري؛ نعمان، عبدالله عبدالقادر. (٢٠٠٦). **المنشآت المائية وأنظمة الري في الحضارة اليمنية القديمة**. في "**نوافذ على الماء والحضارة في بلاد العرب**". جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. تحقيق: حسين العمري. دمشق: ط٣. دار الفكر. ٤٠٩هـ. الفصل الأول.

(٤٧) ابن جنيد، سعد بن عبدالله. (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩) **معجم الأماكن الوارد ذكرها في البخاري**. الرياض: الدارة. ص ١١٥.

كما لعبت الغدران[٤٨] الساحلية دوراً في تكون السيول، حيث تكثر فيها المياه في أثناء فصل الأمطار، وقد تمتلئ في بعض الأحيان فجأة إلى درجة الفيضان، فتندفع جارفة أمامها كل شيء، وتسمى في هذه الحالة سيولاً"، كما هو الحال في غدران اليمن[٤٩] وقرية الطرف[٥٠] وهي في طريق الحاج بين المدينة والقصيم؛ حيث تكثر فيها الغدران التي تمتلئ بماء السماء، ووصفها ابن رستة بقوله: "هو منزل يكون آهلاً أيام الحاج، ويكثر فيه ماء السماء من الغدران"[٥١].

الآثار السلبية والإيجابية للسيول:

شهدت الدولة الإسلامية على مدار سنيها العديد من السيول، وتشير مصادر التاريخ الإسلامي إلى سيول جارفة اجتاحت مناطق مختلفة في الجزيرة العربية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، كان لها آثار على مختلف مناحي الحياة، وفيما يلي أهم هذه الآثار سواء كانت سلبية أم إيجابية.

الآثار السلبية للسيول في الجزيرة العربية:

كانت السيول أمراً مألوفاً في معظم أجزاء الجزيرة العربية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى، ربما خلفت وراءها كوارث مادية وبشرية؛ لذلك نهى الرسول – عليه السلام – عن المبيت في وادي عرنة الذي يعد من الأودية

(٤٨) الغدران: جمع غدير، والغَدِيرُ مستنقع الماء ماءِ المطر صغيراً كان أَو كبيراً، غير أَنه لا يبقى إِلى القيظ إِلا ما يتخذه الناس من عِدّ أَو وَجُدٍ أَو وَقْطٍ أَو صِهْرِيجٍ أَو حائر. انظر عنه: ابن منظور. **لسان العرب**. ج ٥. ص٩.

(٤٩) Zwemer, Samuel Marinus. (1990). The Cradle of Islam: Studies in the Geography, People and Politics of the Peninsula, with an Account of Islam and Mission Work, Chicago, fleming revell company, P. 21.

(٥٠) تعرف اليوم باسم الصويدرة، وتقع بين المدينة والقصيم. حيث تبعد عن المدينة شرقاً ٥٣ ميلاً. انظر عنها: البلادي، عاتق. (١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م). **معجم معالم الحجاز**، مكة: ط٢، دار مكة للنشر والتوزيع. ص ١٠٥٩.

(٥١) ابن رستة، **الأعلاق النفيسة**، ص ١٧٧.

الفحول ذات السيول الجارفة؛ لأن المبيت في مجاري السيول فيه ضرر على الإنسان، فالسيول قد تأتي دون شعور[٥٢]. وربما أدت إلى تعطيل بعض المناسبات الدينية كصلاة الجمعة، ولا تمدنا المصادر بمعلومات كافية حول هذه القضية، ولكن الباحث وقف على إشارة أوردها المؤرخون؛ فقد شكا بنو سلمة وبنو حرام أن السيل قد حال بينهم وصلاة الجمعة، وكانت دورهم بعد الوادي في مزارعهم فأمرهم الرسول – عليه السلام– بالتحول إلى سلع[٥٣] كما أن المنافقين في المدينة كانوا يعتذرون للرسول – عليه السلام – بالسيول التي تمنعهم من مشاركة المؤمنين الصلاة في مسجد قباء، وتضطرهم للصلاة في مسجدهم الذي بنوه، والمعروف بـ "**الضرار**"، فكانوا يقولون: "**يا رسول الله، ربما جاء السيل، فيقطع بيننا والوادي، ويحول بيننا وبين القوم، ونصلي في مسجدنا، فإذا ذهب السيل صلينا معهم**[٥٤]".

وكان وادي جليل الذي عبر منه الرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – خلال فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة، يعاني مصاعب جمة خلال مواسم الأمطار؛ كونه وادياً منخفضاً تتجمع فيه كميات كبيرة من مياه السيول[٥٥]، مما يعكس أثر السيول في المواجهات العسكرية، والعمليات الحربية.

---

(٥٢) ابن العثيمين، محمد الصالح. (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**. الرياض: دار الثريا. ط١. الفقه ١٤. الحج. ج ٢٤. ص٤٨٠.

(٥٣) السمهوري، **وفاء الوفاء**، ج ١، ص ١٤٤. وسلع أحد جبال المدينة المنورة، ينطق بكسر السين، والقدماء يفتحونها. يقع غربي المسجد النبوي الشريف، وهو أشهر جبال المدينة على صغره. انظر عنه: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٣. ص٢٣٦؛ البلادي، عاتق. (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م). **معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**. مكة: ط١. دار مكة للنشر والتوزيع. ص ١٦٠.

(٥٤) الطبري، محمد بن جرير. (ت٣١٠هـ). البيان في تفسير آي القرآن. بيروت: دار الجيل. ١٤٠٧هـ. **تفسير**. ج ١٤. ص ٤٨.

(٥٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٢، ص ١٨٤؛ **المعالم التاريخية في وادي السدر بمكة**. صحيفة مكة. الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/ ٧ أبريل ٢٠١٥م.

وعلى مدار تاريخ الدولة الإسلامية خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى حدثت سيول عظام أهلكت الحرث والنسل في مناطق مختلفة من الجزيرة العربية؛ فقد اجتاح اليمن في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – سيل جارف سنة تسع من الهجرة(٥٦)، كما تعرضت اليمن مرة أخرى في عهد أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – (١١ق هـ–١٣هـ/٦٣٢م–٦٣٤م) إلى سيل طام(٥٧)، كما تعرضت مكة في عهد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – (١٣–٢٣هـ/ ٦٣٤–٦٤٣م) لسيل عرف باسم سيل أم نهشل(٥٨).

ولعل أبرز الأضرار العمرانية للسيول هو تدمير عدد كبير من المعالم العمرانية المختلفة من مساجد ومبانٍ سكنية وأسواق وغيرها من المرافق العامة، مما كان له أسوأ الأثر على الجانب الحضاري للإنسان، فقد أدى سيل أم نهشل، الذي دخل المسجد الحرام من الوادي ومن أعلى مكة إلى اقتلاع المقام –مقام إبراهيم الخليل – عليه أفضل الصلاة والسلام – وذهب به حتى وجد بأسفل مكة، فلما علم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بذلك جاء فزعاً، حتى رد المقام مكانه(٥٩).

ويتضح من خلال وصف ابن الأثير للسيل الذي اجتاح مكة المكرمة خلال

---

(٥٦) ابن سعد. **الطبقات**. ج٢. ص ١٦٢.

(٥٧) المعافى بن زكريا، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني (ت٣٩٠ هـ). **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م. ج ١. ص ٧١٢.

(٥٨) الأزرقي. **أخبار مكة**. ج ٢. ص١٦٧؛ الفاسي، محمد بن أحمد. (ت ٨٣٢هـ). **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت: ط١. دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ. ج ٢. ص ٣١٥. وأم نهشل بِنْتِ عُبَيْدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، وسمي السيل باسمها؛ لأن السيل ذهب بها، فلما جف وجدوها ميتة بأسفل مكة. انظر عنها: الأزرقي. **أخبار مكة**. ج ٢. ص١٦٧.

(٥٩) الأزرقي. **المصدر السابق**. ج ٢. ص١٦٧.

فترة حكم عبدالله بن الزبير لها[٦٠] حجم السيول التي كانت تصيب مكة؛ حيث كانت تطبق على البيت الحرام، حتى إن ابن الزبير اضطر إلى أن يطوف سباحة[٦١]. وفي ولاية هشام بن عبد الملك ٧١-١٢٥هـ/ ٦٩١- ٧٤٣م) اجتاح مكة سنة ١٢٠هـ سيل عرف بسيل أبي شاكر، وأبو شاكر المنسوب إليه هذا السيل هو: سلمة بن هشام بن عبدالملك، ولم يبين الفاكهي سبب تسمية هذا السيل بأبي شاكر؛ على الرغم من أن أبا شاكر حج بالناس سنة تسع وليس في تلك السنة[٦٢]. هذا بالإضافة إلى إزهاق العديد من الأرواح؛ مما يؤدي إلى حدوث تغييرات كبيرة في حجم الكثافة السكانية؛ حيث بلغ عدد الضحايا في بعض الأحيان مئات الآلاف من الموتى؛ مما كان له أثر كبير على تدهور النمو السكاني وإعاقته، كما أدى سيل الجحاف في عهد عبدالملك بن مروان (٦٥ - ٨٦هـ/ ٦٨٤-٧٠٥م) إلى هدم الدور التي على الوادي؛ مما أدى إلى قتل عدد كبير من السكان[٦٣] وسمي بالجحاف؛ لأنه جحف على كل شيء فذهب به، وحمل الحجاج من بطن مكة والجمال بما عليها، والرجال والنساء لا يستطيع أحد أن ينقذهم منه، وبلغ الماء إلى الحجون، وغرق خلق كثير، وقيل إنه ارتفع حتى كاد يغطي البيت[٦٤]. بل إن خطر السيول

---

(٦٠) انظر: ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد. (ت٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (د.ت). ج٣. ص ص ٧١-٧٥.

(٦١) ابن الأثير، علي بن محمد الجزري. (ت٦٣٠هـ). **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري. بيروت. ط١. دار الكتاب العربي. ١٤١٧هـ. ج ٤. ص ٣٦٠.

(٦٢) الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس المكي. (ت ٢٧٢هـ). **أخبار مكة**. تحقيق: عبدالملك عبدالله دهيش. بيروت: ط٢. دار خضر. ١٤١٤هـ. ج٣. ص ١٠٨؛ الفاسي، محمد بن أحمد. (ت ٨٣٢هـ). **شفاء الغرام**. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م. ج ٢. ص ٣١٨.

(٦٣) الأزرقي. **أخبار مكة**. ج ٢. ص ص١٦٧-١٦٨؛ الفاكهي. **أخبار مكة**. ج ٣. ص ١٠٤؛ الفاسي. **العقد الثمين**. ج ١. ص ٤٠٥؛ ابن فهد، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**. ج٢. ص٧.

(٦٤) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (ت ٧٧٤هـ). **البداية والنهاية**. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٦م. ج ٩. ص ٣٩.

امتد إلى قبور الموتى، فقد أدى السيل الواقع في طريق أحد، الذي حفره معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – في المدينة المنورة في السنة الثانية من حكمه، إلى حفر قبري عمرو بن الجموح[٦٥] وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي (٩٩–١٠١هـ/ ٧١٧هـ–٧٨٩م) – رضي الله عنهما –، فكان قبراهما مما يلي المسيل، فدخلهما السيل فحفر عنهما، فنقلوا قبراهما إلى موضع لا يدخله السيل[٦٦]، وخلال ولاية عمر بن عبدالعزيز على مكة سنة ٨٨هـ جاء سيل عظيم حتى خاف أهل مكة من شدته[٦٧].

واجتاح مكة سيل آخر عرف باسم السيل الليبري في أثناء خلافة الخليفة العباسي المهدي (١٥٨–١٦٩هـ/ ٧٧٤–٧٨٥م)[٦٨]، وذلك سنة ١٦٠هـ، في أواخر الشهر المحرم، ووصفه الفاسي بأنه سيل عظيم دخل الحرم[٦٩] وسيل آخر سنة ١٨٤هـ[٧٠]، خلال خلافة هارون الرشيد (١٧٠–١٩٣هـ/٧٨٦–٨٠٩)م.

كما جاء مكة سيلان في خلافة المأمون (١٩٨–٢١٨هـ/٨١٣–٨٣٣م)، أحدهما سنة ٢٠٢هـ آخر الشهر المحرم، وكان يقال له: سيل ابن حنظلة هلك فيه أناس كُثر، وأَضر بالمسجد الحرام، وسيل أعظم منه سنة ٢٠٨هـ[٧١] وكان الناس غافلين، فاقتحم المسجد وأحاط بالكعبة، حتى رفع المقام، وذهب بعدد

---

(٦٥) كان ابن الجموح أحد زعماء المدينة وسيد من سادات بني سلمة، قتل شهيداً يوم أحد. انظر عنه: ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. (ت ٤٦٣هـ). **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. بيروت: دار الجيل. ١٤١٢هـ. ج٣. ص ص ١١٦٨–١١٧٠.

(٦٦) الكاندهولي، محمد بن زكريا. **(١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). أوجز المسالك إلى موطأ مالك**. تحقيق: تقي الدين الندوي. دمشق. ط١. دار القلم. ج ٩. كتاب الجهاد. باب النذور والأيمان. ص ص ٤٨٠–٤٨٣.

(٦٧) ابن كثير. **البداية والنهاية**. ج ٩. ص ٣٩.

(٦٨) ابن الأثير. **الكامل**. ج٥. ص ص٢٠٥ – ٢٥٣.

(٦٩) الفاسي. **العقد الثمين**. ج ١. ص ٦٠.

(٧٠) الأزرقي. **أخبار مكة**. ج ٢. ص ص١٦٧–١٦٨؛ الفاكهي، **أخبار مكة**، ج ٣، ص ١٠٤.

(٧١) الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١٠٤.

كبير من الناس، فكتب مبارك الطبري وهو على بريد مكة إلى أمير المؤمنين المأمون في ذلك، فلما رأى الناس ما في المسجد من الطين والتراب، اجتمع خلق كثير، فكانوا يعملون بأيديهم، ويستأجرون من أموالهم حتى كان النساء العواتق وغيرهن يخرجن بالليل فيما ذكروا فينقلن التراب التماس الأجر، حتى رفع من المسجد ونقل منه فلما بلغ ذلك المأمون، بعث بمال عظيم، وأمر أن يعمر المسجد الحرام، ويبطح(٧٢)، ويعزق(٧٣) وادي مكة، فعزق الوادي، وعمر المسجد وبطح وذلك كله على يدي مبارك الطبري(٧٤).

وجاء مكة سيل عظيم سنة ٢٥٣هـ، ودخل المسجد الحرام، وأحاط بالكعبة، وبلغ قريباً من الركن الأسود، وهدم دوراً كثيرة بمكة، وذهب بأمتعة الناس وخرب منازلهم، وملأ المسجد الحرام حتى جُر ما في المسجد من التراب بالعجل(٧٥). وفي سنة ٢٦٢هـ جاء سيل عظيم، ذهب بحصباء المسجد الحرام حتى عري منها(٧٦). كما أصاب مكة سنة ٢٦٣هـ؛ سيل بعد أن مطرت مطراً شديداً، حتى سال الوادي، ودخل السيل من أبواب المسجد، فامتلأ المسجد، ونبع

(٧٢) بطَحَه كمَنَعه "بَطْحاً: بَسَطَه، والبَطْحاءُ مَسِيلٌ فيه دُقاقُ الحَصى، الأَبطح: المكان المتَّسعُ يَمُرّ به السيل، فيترك فيه الرملَ والحصى الصغار. ومنه أَبطَح مكَّة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص ٤١٣.

(٧٣) عَزَقَ في المعجم الوسيط الأرضَ – عَزْقاً: شقَّها. والحقلَ: كشف تربته السطحية لتعريضها للهواء وإزالة الأعشاب المضرة. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١٠، ص٢٥٠.

(٧٤) الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١٠٤.

(٧٥) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج ٢، ص ٣١١؛ الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١١٣؛ ابن فهد، حمد بن محمد. (ت٨٧١هـ). **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**. تحقيق فهيم شلتوت. القاهرة: مكتبة الخانجي. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م. ج٢. ص ٣٣١؛ الفاسي. **العقد الثمين**. ج ١. ص٦٢.

(٧٦) الأزرقي. **أخبار مكة**. ج ٢. ص ٣١٢؛ ابن فهد. **إتحاف الورى**. ج٢. ص ٢٣٨.

الماء قريباً من الحجر الأسود، ورفع المقام من موضعه، وأدخل في الكعبة للخوف عليه من السيل(٧٧).

ويفهم مما ذكره المسعودي في تاريخه في أخبار سنة ٢٩٧هـ أن مكة تعرضت لسيل جارف أغرق أركان الكعبة، وفاضت بسببه بئر زمزم(٧٨).

كما تعرضت المدينة عبر تاريخها الطويل لأخطار السيول المغرقة؛ فقد كان وادي مهزوز يهدد المسجد النبوي بالغرق إذا سال، وقد سال في خلافة عثمان – رضي الله عنه – سيل عظيم كادت المدينة تغرق بسببه، لو لم يبادر الخليفة نفسه بإجراء عاجل للحيلولة دون ذلك(٧٩).

وتاريخ اليمن مليء بكوارث هذه السيول التي كانت تحدث خلال فترات متقطعة، وخاصة ما يحدث في صنعاء؛ حيث يأتيها من أنحاء سنحان وسعوان وجبل اللوز، ويخرب قسماً غير يسير بين صنعاء وشعوب والروضة، ويذهب بعدها للانصباب في وادي خارد، ومن أشهرها سيل مخلاف(٨٠).

ومن الآثار السلبية للسيول انتشار الأمراض والأوبئة؛ فقد كانت مياه السيول تتراكم في الأودية وتكون مستنقعات ينتشر فيها البعوض الناقل لحمى الملاريا؛ فقد مرضت عائشة، وبلال بن رباح وعامر بن فهيرة – رضي الله عنهم – بالحمى بعد قدومهم إلى المدينة؛ لأن وادي بطحان كان مستنقعاً للأوبئة كما وصفته عائشة – رضي الله عنها – "وهي أوبأ أرض الله وكان بطحان يجري نجلاً، – يعني: ماء آجنا" (٨١). وربما أثرت السيول على الحالة العقلية للسكان

(٧٧) ابن فهد. **إتحاف الورى**. ج٢. ص٣٣٩.
(٧٨) المسعودي. **مروج الذهب**. ج٤. ص ٣٠٧.
(٧٩) ابن شبه. **تاريخ المدينة**. ج١. ص ١٦٩.
(٨٠) الهمداني. **صفة جزيرة العرب**. ص ٨٢.
(٨١) ابن هشام، عبدالملك المعافري. **السيرة النبوية**. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية. (دت). ج٢. ص ١٨٠.

كما حدث في سيل المخبل سنة ٨٤هـ؛ حيث أصيب الناس بعده بمرض شديد في أجسادهم وألسنتهم، أصابهم منه شبه الخبل، فسمي سيل المخبل(٨٢). كما أصاب الناس بعد سيل حنظلة سنة ٢٠٢هـ مرض شديد من وباء، وموت فاشٍ(٨٣).

وليست لدينا أخبار موثقة عن أثر السيول في تدمير محاصيل الزراعة في وسط الجزيرة العربية وشمالها، أو خراب السدود الترابية، أو انهيار آبار الري والقنوات، ولكن بالمقابل لدينا أخبار من هذا القبيل عن مناطق أخرى في الجزيرة العربية، فقد تعرضت عُمان لسلسلة من السيول الجارفة خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، كالتي حدثت سنة ٢٥١هـ/١٨٦٥م؛ فقد "**قلعت المنازل والأموال وأغرقت النساء والرجال، فغرق الرجل وعياله، وتخرب منزله وماله، وحملت البحور أبدانهم وقلعت الأشجار، فأصبح السالم الموسر منهم فقيراً يطلب الأكل والشيء اليسير**(٨٤)، وشملت السيول عُمان كلها، وتركزت في منطقة الباطنة(٨٥)، وغدت المناطق الزراعية في منطقة بديد في حكم المال المجهول، فألحقت ببيت مال المسلمين لهلاك أهلها؛ مما يدل على أنها أكثر المناطق العمانية تضرراً، والمعروف أن مناطق الباطنة والساحل تعد أغنى مناطق عُمان زراعياً وتجارياً، لذلك أثر خرابها على الاقتصاد العُماني(٨٦).

---

(٨٢) السمهودي، **وفاء الوفاء**، ج ١، ص ٧.

(٨٣) الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١٠٤.

(٨٤) ابن سعد. **الطبقات**. ج٢. ص ٢٧.

(٨٥) الباطنة هي المنطقة التي تقع فيها صحار، وتطل على خليج عمان. انظر: المنذري، محمد بن ناصر بن راشد. (٢٠٠٨). **تاريخ صحار السياسي والحضاري: من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**. بيروت. ط١. دار العلوم العربية للطباعة والنشر. ص ص ٢٦-٢٧.

(٨٦) فاروق، عمر. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). الإمامة الإباضية في **عُمان – دراسة تاريخية**. الأردن: جامعة آل البيت. ص ٤٨.

كما أضرت السيول الجارفة بالتجارة في الجزيرة العربية، خاصة في بعض مناطق التبادل التجاري والأسواق التجارية، فقد تعرض سوق صنعاء الأيمن للخراب سنة ١٢٤هـ بسبب سيل دار خوط[٨٧]، وأدى سيل سنة ٢٥١هـ/ ٨٦٥م إلى تدمير صحار تدميراً شاملاً؛ مما أضر بالاقتصاد العماني؛ فقد كانت صحار أكبر الأسواق التجارية في عُمان، وأهمها على الإطلاق، وظلت عُمان تعاني من آثار هذه السيول سنين طويلة؛ مما أدى إلى تدهور الأوضاع التجارية في الخليج العربي لفترة طويلة لا تقل عن نصف قرن[٨٨].

الآثار الإيجابية للسيول في الجزيرة العربية:

على الرغم من الآثار السلبية للسيول من هدم المنشآت وتدمير الممتلكات، وإزهاق الأرواح، فإن هناك جوانب إيجابية أخرى لها، وكان الرسول –صلى الله عليه وسلم – إذا سال السيل يقول: "**اخرجوا بنا إلى هذا الذي جعله الله طهوراً فنتطهر منه، ونحمد الله عليه**"[٨٩].

ومن آثارها الإيجابية حماية سرايا الرسول – عليه الصلاة والسلام – وبعوثه العسكرية، فقد كان السيل سبباً – بعد الله – في نجاة سرية غالب بن عبد الله الليثي – رضي الله تعالى عنه – إلى بني الملوح بالكديد[٩٠] سنة ٨هـ؛ فقد شنوا عليهم الغارة ليلاً بعد أن اطمأنوا وناموا، ثم استقوا النعم والشاء بعد

---

(٨٧) الرازي، أحمد بن عبدالله. (ت٤٦٠هـ). **تاريخ مدينة صنعاء**، تحقيق: حسين العمري. دمشق: ط٣. دار الفكر. ١٤٠٩هـ. ص ص ١٥١، ١٥٤.

(٨٨) **حصاد ندوة الدراسات العمانية**، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٤٠٠/ نوفمبر ١٩٨٠، ج٢، ص ١١١.

(٨٩) الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي المكي. (ت٢٠٤هـ). **كتاب الأم**. بيروت: دار المعرفة. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م. كتاب الاستسقاء/السيل.

(٩٠) الكديد مكان بين عسفان وأمج، وبينهم عشرون ميلاً، وأمج يعرف اليوم باسم خليص. والكديد يعرف اليوم باسم الحمض، وهو بين عسفان وخليص. انظر: البلادي، **معجم المعالم الجغرافية**، ص ٢٦٣.

أن قتلوا المقاتلة وسبوا الذرية، فلحقهم عدد كبير من بني الملوح، ولم يكن بينهم هذا الحشد الكبير سوى الوادي، فأرسل الله سحاباً فأمطر الوادي مطراً لم يروا مثله، وسال الوادي؛ حيث لا يستطيع أحد أن يجوز به(٩١).

ووقع مثل ذلك في سرية قطبة بن عامر بن حديدة الخزرجي السلمي المكونة من عشرين رجلاً – رضي الله تعالى عنهم – إلى حي من خثغم بناحية بيشة(٩٢) قريباً من تربة سنة ٩هـ، فبعد نجاح السرية، اجتمع الخثعميون وركبوا في آثارهم، فأرسل اللهُ – سبحانه وتعالى– عليهم سيلاً عظيماً حال بينهم وبين المسلمين، فكان الخثعميون ينظرون إليهم ولا يستطيعون أن يعبروُا إليهم حتى غابوا عنهم(٩٣).

ومما يجدر ذكره أن قريشاً نزلت في غزوة الخندق في مجمع السيول في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تبعهم من بني كنانة وتهامة(٩٤)، ولعل اختيارها لهذا الموقع؛ لما امتاز به مجمع السيول من وفرة المياه، وكثرة النخيل والزروع.

كما قامت على ضفاف الوديان التي تستقبل مياه السيول مستوطنات سكانية في مختلف أنحاء الجزيرة العربية، ويفهم من كلام ياقوت الحموي أن القبائل المارة بها وادي الرمة كانوا يقتسمونه فيما بينهم "أكبر وادٍ بنجد يجيء من الغور والحجاز أعلاه لأهل المدينة، وبني سليم، ووسطه لبني كلاب،

(٩١) ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج ٤. ص ص ٢٢٤–٢٢٥.

(٩٢) بيشة من الأودية الضخام هو وتُرَبة وزبيَة، ومسيرة كل واحد منها عشرون يوماً، أسافلها في نجد، وأعليها في السراة، وقد نزلت خثعم بين بيشة وتربة. انظر عنه: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ٢، ص ٢٥.

(٩٣) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني الواقدي. (ت ٢٠٧هـ). **المغازي**. تحقيق مارسدن جونس. بيروت. ط ٣. دار الأعلمي. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م. ص ١٩٨؛ ابن سعد. **الطبقات**. ج ٢. ص ص ١٤٨ – ١٤٩.

(٩٤) ابن هشام. **السيرة النبوية**. ج٣. ص ١٧٦.

وغطفان، وأسفله لبني أسد، وعبس، ثم ينقطع في رمل العيون، ولا يكثر سيله حتى يمده الجريب واد لكلاب"[٩٥].

وبصفة عامة كانت الأودية مناطق مفضلة لإقامة القبائل؛ لأنها توفر مصدراً مهماً للمياه، ومواطن مهمة للزراعة، ففي منطقة الفلج أودية كثيرة منها الهدار، والغيل، وأكمة وغيرها كانت الزراعة – كما ذكر الهمداني – تقوم فيها" فالحريش في واد من الفلج يقال له: الهدار فيه نخل وزروع على الآبار وسوان من الأبل"[٩٦]. وقد أشار الهمداني إلى عدة مستوطنات كانت تقوم على ضفتي وادي أكمة كمستوطنة بني جعدة[٩٧].

كما أدت السيول إلى ازدهار حركة الزراعة، وخصوبة الأراضي، فكانت يثرب ذات وديان كثيرة تفيض بمياه السيول، فتروي أراضيها، وتسقي النخل والزروع[٩٨]، ويخترق المدينة العديد من الأودية التي تنطلق عموماً من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي، والتي تجعلها بشكل عام وفيرة المياه، ومن أهمها العقيق وبطحان، ورانونا، ومهزور[٩٩]، واشتهر العقيق، بكثرة خيراته ومزارعه وأشجاره، وتميزت مياهه بأنها أعذب مياه تلك الناحية[١٠٠].

ومن أودية الحجاز التي اشتهرت بنخلها أيضاً وادي الصفراء، وهو واد

---

(٩٥) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٣، ص ٨٢.

(٩٦) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٧٢.

(٩٧) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٢٧٣.

(٩٨) الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. ج٤. ص ص ١٥٦–١٥٧؛ الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (١٤١٠هـ/١٩٨٩م). **السيرة النبوية**. مكة المكرمة: ط٨. دار الشروق. ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م. ص ١٨٧.

(٩٩) العلي. **الحجاز في صدر الإسلام.** ص ٤٨–٤٨٩.

(١٠٠) الحموي، ياقوت. **معجم البلدان**. ج٤. ص ص، ١٣٩؛ السمهودي. **وفاء الوفا.** ج١٠، ص ص ١٠٤١.

كثير النخل، وتنتشر عليه المزارع، وعليه قرية الصفراء وهي قرية كثيرة المزارع والنخيل[١٠١].

ومن أسماء المدينة ذات الدلالات الزراعية (ذات النخل)، كما جاء في الحديث[١٠٢] عن النبي – عليه الصلاة والسلام –، أنه وجه إلى أرض ذات نخل لا يراها إلا يثرب، ومن أسمائها الهذراء لكثرة مياهها وأصوات سوانيها؛ وذلك لأن السيول كانت تفيض من الحرار الشرقية والجنوبية، وتتجه صوب الغرب حتى تنتهي إلى وادي أضم (الحمض)، وقد استفيد من شراج الحرة؛ وهي المياه التي تسيل من الحرة الشرقية في الري، وكانت للزبير بن العوام مزرعة على هذه الشراج، وكان الزراع يسقون نخيلهم وزروعهم من هذه المياه، حيث يقتسمون الماء فيما بينهم، وفي المناطق التي لم تكن مياه الوديان تصل إليها كانت الزراعة تعتمد عليها[١٠٣]. كما كانت مجامع السيول مناطق زراعية خصبة، فكانت الزغابة مثلاً مجتمع سيول المدينة[١٠٤]، لذلك عندما هاجر اليهود إلى يثرب أقاموا بمجتمع السيول؛ وهي سيل بطحان، والعقيق، وسيل قناة مما يلي رغاية[١٠٥] فنزلت قبيلة بني النضير اليهودية عند وادي بطحان[١٠٦]، وكانت قبيلة بني قريظة ومعها بعض البطون اليهودية الأخرى تنزل عند وادي مهزور،

---

(١٠١) الشريف. **مكة والمدينة**. ص ١٥.

(١٠٢) السمهودي. **وفاء الوفاء**. ج ١. ص١٩.

(١٠٣) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعد بن حبتة الأنصاري (ت١٨٢هـ). **الخراج**. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، وسعد حسن محمد. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث. (د. ت). ص ١٠٤؛ محمدين، محمد محمود. (١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م). **الزراعة والري في الحجاز**. مجلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية. الرياض: جامعة الملك سعود. ع٣. ص ٣٢٦.

(١٠٤) ابن سعد. **الطبقات**. ج٢. ص ٩٣.

(١٠٥) الفاسي. **شفاء الغرام**. ج ٢. ص ٣٨٧.

(١٠٦) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج ١، ص ٤٦٦.

حتى عرف باسم وادي قريظة[١٠٧]، وتعرف المنطقة المحصورة بين مهزور وبطحان التي سكنتها معظم القبائل اليهودية باسم العالية، وهي منطقة مشهورة بخصوبتها، وكثرة مياهها وعذوبتها وطيب جوها، حتى عدت من أعلى مواضع بلاد الحجاز وأشرفها[١٠٨]. وتنحدر هذه الوديان من الجنوب إلى الشمال، وتسير في انحدارها مياه الأمطار لتغذي آبار المدينة، ولتوفر المياه للمزارع والبساتين حتى غدت المدينة جنة زاهية الخضرة، وواحدة من أمهات المراكز الزراعية في بلاد العرب[١٠٩].

وقد قام الرسول – عليه السلام – بتنظيم مياه السيول للمستفيدين منها في الزراعة، كما حدث في سيل مهزور ومذيبيب وبطحان، وكانت طريقته في ذلك أن يمسك الماء حتى يبلغ الكعبين، ثم يرسل إلى الأسفل، وقد قضي بهذا الحكم[١١٠] لرجلين اختصما في مهزور وادي بني قريظة. وأورد البلاذري حديثاً آخر جاء فيه أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – قضى في سيل مهزور أن لأهل النخل إلى العقبين، ولأهل الزرع إلى الشراكين، ثم يرسلون الماء إلى من هو أسفل منهم، وبهذا تكون أبعد الأراضي عن مصدر المياه آخرها رياً[١١١].

ومما يدل على أهمية السيول في تنشيط الحركة الزراعية أن خرص نخل خيبر بلغ في خيبر وحدها على عهد الرسول – عليه الصلاة والسلام – أربعين ألف وسق، والوسق يساوي حمل بعير[١١٢].

كما ساعدت مياه السيول الغزيرة على كثافة المحاصيل الزراعية في اليمن،

---

(١٠٧) السمهودي. **وفاء الوفا**. ج٣. ص ١٠٧٦.

(١٠٨) ياقوت. **معجم البلدان**. ج ص ج ص ؛ السمهودي، **وفاء الوفا**، ج٣، ص ١٠٧٦.

(١٠٩) الشريف، **مكة والمدينة**، ص ؛ العلي. **الحجاز**. ص٤٨٦.

(١١٠) البلادي، **فتوح البلدان**، ص ١٣.

(١١١) البلادي، **المصدر السابق**، ص١٣.

(١١٢) أبو عبيد، القاسم بن سلام. (ت ٢٢٤هـ). **كتاب الأموال**. تحقيق: محمد خليل هراس. دار الفكر. ط ٢. القاهرة. ط٢. دار الفكر. ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م. ص ١٠٩.

حتى إن ابن رسته ذكر أن ماء المطر يجري على مزارع صنعاء ويعمل على سقيها؛ مما جعل أهلها يستغلون كل قطعة أرض استغلالاً كاملاً للزراعة، حتى إنهم يحصدون الحنطة على دفعتين، والأرز ثلاث أو أربع دفعات، بل إن من ثمارهم وعنبهم ما يحصد في السنة مرتين، والموز يقطف عندهم كل أربعين يوماً، ولا ينقطع عندهم القطاف(١١٣).

وعلى طول الوديان في مخلاف حَكَم وعثر "المخلاف السليماني"(١١٤) تسمح السيول الدورية بالزراعة القائمة على الري، وتؤمن سلسلة الحواجز العقم الاحتفاظ بجزء من مياه الوديان وتوجيهها نحو الحقول المجاورة، وهناك بعض بساتين النخيل التي زرعت بالقرب من السواحل في المناطق التي يوفر لها تغلغل السيول ماء هادئاً قليل العمق على مدار السنة(١١٥).

وكانت الأودية في إقليم اليمامة تقوم على جنباتِها في الغالب مستوطنات زراعيَّة، وتنتهي في روضات تستقر فيها سيول هذه الأودية، وتشتهر اليمامة بكثْرة رياضها، وهذه الرَّوضات تكون من أفضل منابت الكلأ، ومن أجْود المراعي(١١٦). وقد وصف ابن حوقل اليمامة بأنه إقليم وفير المياه كثير النخل، إذ تعترضه الأعراض، وهي الأودية التي تخترقه حتى تصب في الخليج العربي(١١٧)، وهذه الأودية مليئة بالقرى والزروع، ومنها أودية نساح، وملك، ولحا، والعروض(١١٨).

---

(١١٣) ابن رستة. **الأعلاق النفيسة**. ج٧. ص ص١٠٩-١١٠.

(١١٤) مخلاف حَكَم وعثر هو الاسم الذي عرفت به منطقة جازان حتى القرن الرابع الهجري. العقيلي، محمد بن أحمد. (١٣٧٨هـ). **المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي**. ج ١. ص ص ٤٢-٤٨؛ الزيلعي، أحمد. **مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين**، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الخامس. الرياض. قسم الآثار والمتاحف. جامعة الملك سعود. ج١. ص ١٩٩.

(١١٥) العقيلي. **المخلاف السليماني**. ج١. ص ص ٤٢-٤٨.

(١١٦) ابن خميس. **معجم اليمامة**. ج ١. ص ٥٠٥- ٥١٩.

(١١٧) ابن حوقل. **صورة الأرض**. ص ص ٣٨.

(١١٨) الهمداني. **صفة جزيرة**. ص١٤٠.

وقد يسهم السيل في زيادة منسوب الماء بصفة عامة، وزمزم بصفة خاصة كما حدث سنة ٩٩هـ، وسنة ٢٨٠هـ عندما هاجم مكة سيل هائل، فكثر ماء زمزم، وارتفع حتى كان قارب رأسها؛ فلم يكن بينه وبين شفتها العليا إلا سبع أذرع أو نحوها، وعذبت جداً حتى كان ماؤها أعذب من مياه مكة التي يشربها أهلها، وذكر المسعودي أنه بعد سيل سنة ٢٩٧هـ فاضت بئر زمزم بصورة لم تعهد من قبل(١١٩)، كما أصابها سنة ٢٨١هـ أمطار كثيرة، وسال واديها بسيل عظيم(١٢٠).

طرق سكان الجزيرة العربية في مواجهة السيول:

لما كانت السيول جزءاً من حياة الإنسان في الجزيرة العربية كان لابد من توجيهها وجهة يستفيد منها؛ لذلك ابتكر عرب الجزيرة العربية طرقاً متطورة للسيطرة على تلك السيول الجارفة.

وبما أنه لا توجد أنهار دائمة أو بحار في جزيرة العرب، وبما أن هطول المطر محدد بأوقات معينة من السنة. وعندما تهطل الأمطار قد تكون غزيرة لكنها قصيرة الأمد، عندئذ يكون أثرها فورياً ومدمراً في الغالب، وبعد وقت قصير يكون كل ماء السطح قد اختفى، وتصبح الوديان جافة مرة أخرى؛ لذلك كان لابد من استنباط طرائق لأجل التجميع، والتوزيع، والتخزين الفعَّال لهذا المورد الثمين(١٢١).

وتعد السدود من أعظم الابتكارات التي ابتكرها سكان الجزيرة العربية؛ لتحويل السيول إلى عامل بناء يستفيدون من مياهها في الشرب والزراعة والتنمية الحياتية، وقد أقيمت السدود على مجاري الأودية التي تسيل في مواسم

---

(١١٩) **مروج الذهب**. ج٤. ٣٠٧؛ الفاسي. **العقد الثمين**. ج ١. ص ٦٢.

(١٢٠) ابن فهد. **إتحاف الورى**. ج٢. ص ص ٣٤٧، ٣٤٨.

(١٢١) هلند، ربرت. (٢٠١٠). **تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ ق. م – ٦٣٠م**. ترجمة: عدنان حسن. بيروت. ط١. شركة قدمس للنشر والتوزيع. ص ص ١١٥–١١٦.

الأمطار في غرب الجزيرة العربية ابتداءً من خيبر إلى يثرب، ثم من بداية مرتفعات عسير عند الطائف جنوباً إلى نجران واليمن؛ لذلك وجدت أعداد كبيرة من السدود في تلك المنطقة.

وقد تعددت أنواع السدود التي بناها سكان الجزيرة العربية، فمنها ما هو بسيط وبدائي عبارة عن حاجز من تراب، أو صخور كدست بعضها فوق بعض، والنوع الثاني أقيم على شكل حرف V، ويستخدم لحجز التربة والطمي المنجرف مع مياه السيول، أما النوع الثالث فيتميز بالضخامة، ويحتاج بناؤه إلى صخور صلبة، ومواد بناء مختلفة ومتنوعة، بالإضافة إلى عدد كبير من العمال، ولا يستطيع بناؤه إلا الحكومات المتمكنة مادياً، ولا يتوافر ذلك إلا في اليمن(١٢٢).

أما عبر الوديان، فقد بنيت سدود أضخم تفيد في تهدئة اضطراب الماء، واحتوائه حتى بلوغ المنسوب المطلوب من الماء، ثم جره عن طريق الأقنية إلى الحقول، كما حُفرت الآبار وجُوفت الصهاريج لكي تخزن الماء، على نحو رئيس للاستهلاك المنزلي، وأيضاً لاستكمال مصادر الري في السنوات الجافة(١٢٣)، وقد يجمع السد بين الغرضين معاً، حيث يكون للسد بوابات تفتح وتغلق وقت الحاجة مثل سد وادي نجران، وكان ذا أجزاء مؤقتة وأجزاء دائمة، وتعاد إقامة الأجزاء المؤقتة كل موسم، وتقام هذه السدود في مضايق الأودية الطبيعية، مثل سد الجلاد في نجران(١٢٤).

والحقيقة أن سكان الجزيرة العربية وقفوا من هذه المياه التي تتدفق بها الصحراء في مواسم المطر موقفين؛ هما موقفا الحضارة والبداوة. أما أهل اليمن

---

(١٢٢) النعيم، نورة علي. **التاريخ الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي**. الرياض: دار الشواف. (د.ت). ص ص ١٠٣– ١٠٤. المقصود بذلك في الفترة التي كانت فيها اليمن تتمتع بقوة اقتصادية قبل انهيار سد مأرب.

(١٢٣) هلند. **تاريخ العرب.** ص ص ١١٥–١١٦.

(١٢٤) النعيم. **التاريخ الاقتصادي**. ص ص ١٠٥–١٠٧.

فقد استطاعوا استغلال هذه المياه المتدفقة، فأقاموا السدود في عرض الأودية لحجز السيول، والانتفاع بمياهها في إحياء موات الأرض.

ويصف القرآن الكريم مسكن سبأ بأنه ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾[١٢٥] وقد استغل اليمنيون هذه الظاهرة الطبيعية استغلالاً واسعاً "فلم يدعو وادياً يمكن استثمار جانبيه بالماء إلا حجزوا سيله بسد، فتكاثرت السدود بتكاثر الأودية حتى تجاوزت المئة[١٢٦]، كما ذكر الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب)، فقال: "إن سدودهم كانت تزيد على مائة سد، وهي التي ساعدت على ازدهار اليمن، وحسن استغلالها[١٢٧].

وعدد الرازي سدود اليمن فذكر سد مأرب، وسد الخانق بصعدة بناه نوال بن عتيك غلام سيف بن ذي يزن، وسد سيان، وأسداد بلاد عنس، وأسداد يحصب، وهي ثمانون سداً، وفي بلاد همدان سد بيت كلاب، وآخر في ظاهر دعان[١٢٨]، ونقص وادي ضهر النصف لما هدم سد ريعان[١٢٩].

أما أهل البادية في الحجاز ونجد فقد تركوا السماء تمطر فتحيي لهم ما تحيي من الأرض، فإذا زادت مياهها عن الحاجة ذهبت بها رمال الصحراء، حتى إذا ما انقضى فصل المطر عادت الطبيعة لجدبها، وعادت الحياة لجفافها، وعاد القوم لظمئهم وقحطهم، ويبدو أن السبب في هذا يرجع إلى طبيعة الظاهرة الجغرافية نفسها، فإن تلك السيول التي عرفتها أودية اليمن لم تعرفها البادية العربية في الحجاز ونجد – بحكم ظروفها الجغرافية – إلا نادراً، هذا إلى جانب

---

(١٢٥) سورة سبأ، آية: ١٥.
(١٢٦) الهمداني. **صفة جزيرة العرب**. ج١. ص ١٠١.
(١٢٧) الهمداني، المصدر السابق، ج١، ص ١٠١.
(١٢٨) الرازي. (ت ٤٦٠ هـ). **تاريخ مدينة صنعاء**. ص ص ٢٧٨–٢٨١.
(١٢٩) الرازي. **تاريخ مدينة صنعاء**. ص ٢٨١.

أن أكثر أهل الحجاز ونجد كانوا بدواً لم يصلوا من الحضارة إلى درجة التحكم في هذه السيول والانتفاع بها(١٣٠).

ولعل في قصة الأعرابي الذي جاء إلى الرسول –عليه السلام– يشكو إليه الجدب، ويطلب منه أن يدعو الله أن تمطر السماء عليهم، ثم جاءه في المرة التالية يشكو إليه أن السيل أغرقهم نتيجة للأمطار الغزيرة التي هطلت على باديتهم، وأغرقت الزرع والماشية، ويسأله أن يدعو الله أن يكف المطر دلالة على أن أهل البادية لم يعرفوا تقنية السدود(١٣١).

ولكن إذا كانت باديتا نجد والحجاز لم تعرفا السدود فقد عرفتها حاضرتهما، فقد وجدت آثار بعض سدود في شمال الحجاز في وادي المعتدل في العلا وفي خيبر والطائف، وسد قصر البنت في خيبر، وهو عبارة عن بركة كبيرة لها منافذ لإخراج الماء المخزن بُنيَ من حجر البازلت، وفي جنوب وجنوب غربي الجزيرة هناك مثل سد الجلاد عند انحدار وادي نجران، ويتصل به عدد من الأقنية لنقل المياه إلى الأراضي الزراعية المجاورة، وتكثر فيه مخارج المياه(١٣٢).

وقد شكلت السدود حماية للمدينة المنورة لفترات تاريخية طويلة، وكان أكبر حارس للمدينة يتصدى لمخاطر السيول، وهو "سد بطحان"، كما أن السدود المائية التي تحيط بالمدينة حمتها من الأخطار المائية لأكثر من ألف عام،

---

(١٣٠) خليف، يوسف. **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**. ط٤، دار المعارف. (د.ت). ص ص٦٩–١١٥.

Semple, Ellen Churchill. (1927). Influences of geographic environment on the Basis of Ratzel's System of Anthropo-Geography, Library of Alexandria, P. 501.

(١٣١) البخاري، أبو عبداللَّه محمد بن إسماعيل. (ت ٢٥٦هـ). **الصحيح**. موسوعة الكتب الستة. بإشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. الرياض. ط٣. دار السلام. ١٤٢١هـ. كتاب الاستسقاء.

(١٣٢) النعيم. **التاريخ الاقتصادي**. ص ص ١٠٥–١٠٧.

وتصدت لمخاطر السيول التي تزيد من مخاطرها المرتفعات ومنافذ الأودية التي تصب في المدينة المنورة.

وكانت أول مشاريع السدود أو الردوم في عهد الرسول – عليه الصلاة والسلام –، حيث يذكر عرام السلمي أن السُّد هو مكان يقع بقرب جبل شوران، هو ماء سماء أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بسده، ومنها (القرقرة) ماء سماء، لا تنقطع هذه المياه لكثرة ما يجتمع فيها، ومن السد قناة إلى (قبا)(١٣٣).

ويشير ابن سعد في حوادث محرم من السنة السابعة للهجرة إلى أشهر السدود في خيبر، وهو "**سد الصهباء**"، وأنه يقع على بعد ستة أميال من خيبر من جهة المدينة المنورة(١٣٤)، ومن غير المعروف إذا كان هذا السد تم بناؤه في عهد الرسول، أم أنه كان موجوداً قبل هجرته – عليه السلام – إلى المدينة.

وزاد الاهتمام بالسدود في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين؛ لاتقاء خطر السيول من جهة، والاستفادة من مياهها من جهة أخرى، وأُطلق عليها أسماء متعددة كالسُّد والضفائر والردوم، أو الردم وهو السدُّ العظيم(١٣٥).

ومن التقنيات الجديدة التي تبنتها الخلافة الإسلامية لحماية السكان والدور من خطر السيول بناء ما يسمى بالضفائر، خاصة في الأحياء الموجودة في المناطق المرتفعة، والضفيرة هي الحائط يبنى في وجه الماء، والضفر هو البناء بحجارة بغير كلس ولا طين(١٣٦)، كما فعل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – حيث أمر بعد أن اجتاح سيل أم نهشل الكعبة عبدالله بن الحارث بن نوفل القرشي سنة ١٧هـ، بعمل ردمين أو سدين، الأعلى بين دار ببة

---

(١٣٣) السلمي، عرام بن الأصبغ. (١٩٩٠). (من أهل القرن الثاني الهجري). **كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة**. بيروت: دار الكتب العلمية. ص ١٠.

(١٣٤) ابن سعد، **الطبقات**، ج١، ص ٧٧.

(١٣٥) ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١٢، ص٢٣٦.

(١٣٦) ابن منظور، المصدر السابق، ج٤. ص٤٩٠.

ودار أبان بن عثمان بن عفان الأموي القرشي[١٣٧]، وعمل الردم الآخر عند المدعا، حيث كانت الكعبة ترى من هذا الموضع لعلوه؛ وذلك صوناً للمسجد الحرام من دخول السيل، فتحول مجرى السيل إلى وادي إبراهيم، بعد أن كان السيل ينحدر من المدعا إلى المسعى من ناحية المروة، وكان سد عمر – رضي الله عنه – سداً عظيماً محكماً، بناه بالضفائر والصخور العظام، وكبسه بالتراب، فلم يعلم سيل بعد ذلك مدة مائتي سنة عندما جاء سيل سنة ٢٠٢هـ، وكشف عن بعض حجارة الردم، وشوهدت صخور عظام التي لم ير مثلها، فكان هذا الردم أول سد عمل بمكة، وعرف باسم ردم بني جمح[١٣٨]؛ إما لأن منازلهم كانت في تلك الجهة، وإما لأن عمر – رضي الله عنه – أوكل إليهم العمل عليه[١٣٩]، وفي خلافة عثمان – رضي الله عنه – (٤٧ ق.هـ – ٣٥هـ/ ٥٧٦ – ٦٥٦م)، كادت المدينة تغرق لو لم يبادر إلى ندب الناس لردم السيل ورده عنها[١٤٠].

وقد اتبع الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هذه الطريقة أيضاً في بناء سد مكة، فبعد أن بلغه أن سيل الجحاف الذي اجتاح مكة سنة ٨٠هـ هدم الدور المطلة على الوادي فزع لذلك، وبعث بمال عظيم، وكتب إلى عامله على مكة عبدالله بن سفيان المخزومي يأمره بعمل ضفائر للدور الواقعة على الوادي للناس من المال الذي بعث به، كما عمل سداً أو ردماً على أفواه السكك يحصن

---

(١٣٧) الأزرقي. **أخبار مكة**، ج ٢، ص ص ١٦٧– ١٦٨، الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١٠٤؛ الفاسي. **العقد الثمين**. ج ١. ص ٤٠٥؛ ابن فهد. **إتحاف الورى**. ج ٢. ص ٧.

(١٣٨) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج ٢، ص ص ١٦٧–١٦٨؛ الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٣، ص ١٠٤؛ الفاسي، **العقد الثمين**، ج ١، ص ٤٠٥؛ ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج ٢، ص ٧.

(١٣٩) مطر، فوزية حسين. (١٩٨٠). **تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول**. رسالة ماجستير. جدة: جامعة الملك عبدالعزيز. ١٤٠٠هـ. ص ١١٢.

(١٤٠) ابن شبه. **تاريخ المدينة**. ج١. ص ١٦٩.

بها دور الناس من السيول، وكان من ذلك الردم الذي يقال له ردم الحزامية على فوهة خط الحزامية، والردم الذي يقال له ردم بني جمح وليس لهم، ولكنه لبني قراد الفهريين، فغلب عليه ردم بني جمح، فأمر ببنائه بالصخر العظام(١٤١)، وأما ضفائر دار أويس التي بأسفل مكة ببطح نحر الوادي، فقد اختلف علينا في أمرها، فقال بعضهم: هي من عمل عبد الملك، وقال آخرون: لا، بل هي من عمل معاوية بن أبي سفيان، وهو أثبتهما عندنا(١٤٢).

ومهما يكن من أمر، فقد شهد العصر الأُموي زيادة ملحوظة في عدد السدود في بطون الأودية في منطقة الحجاز كالطائف والمدينة ومكة؛ وذلك لحجز المياه والاستفادة منها في الري واستصلاح الأراضي الزراعية، وحماية زوار الحرمين الشريفين والحجاج في منى ومزدلفة من أخطارها، بالإضافة إلى استغلالها في توفير مياه الشرب العذبة لهم.

وظهر هذا الحرص منذ عهد معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – (٤١ – ٦٠ هـ/ ٦٦١ – ٦٨٠ م)، فقد بنى في أثناء خلافته سنة ٥٨هـ سد سيسد في الطائف، ويقع على وادي سيسد شمال شرقي الطائف، وهو مشيد من أحجار كبيرة ومستطيلة(١٤٣)، وسداً آخر يقع على وادي الخنق شرقي المدينة المنورة، وقد تعرض السد في منتصفه لانهيار نتيجة للزلازل التي أصابت المنطقة على مر العصور، بالإضافة إلى السيول الجارفة في هذا الممر الضيق من الوادي، وعلى مقربة من هذا السد يوجد سد آخر أكثر طولاً، وأقل ارتفاعاً، وقد أقيم لحجز المزيد من مياه السيول التي تفيض من بحيرة السد

(١٤١) البلاذري، **فتوح البلدان**، ص ص ٦٢– ٦٣؛ الأزرقي، **أخبار مكة**، ج١، ص ١٦٩؛ ابن فهد. **إتحاف الورى**. ج ٢. ص ١٠٨.

(١٤٢) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج ٢، ص ص ١٦٨، ١٧٠؛ ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج ٢، ص ١٠٨؛ الفاكهي، **أخبار مكة**، ج ٣، ص ١٠٥.

(١٤٣) Kay, Shirley. (1978). Some ancient dams of the Hejaz, Proceedings of the 11th Seminar for Arabian Studies, 8, p. 68-73.

الأول، وقد عثر على الحجر التأسيسي في قمة السد وعليه اسم معاوية بن أبي سفيان، وأسماء الذين تولوا بناء السد، والمشرفين عليه ومنهم أبو رداد مولى لعبد الله بن عباس(١٤٤).

وهناك سد آخر لمعاوية ذكره الأصفهاني في صفة جزيرة العرب، وقد صمم على هيئة بركة حتى ينحبس فيه الماء، ويقع على الطريق بين المدينة ومهد الذهب(١٤٥). وما يؤكد نسبة السد لمعاوية – رضي الله عنه – ما ذكره الحربي في كتاب المناسك، وهو يصف طريق هارون الرشيد من المدينة إلى معدن بني سليم، حيث قال: (..ثم ينصرف من المدينة في طريق آخر على معدن بني سيلم، وعدد أمياله أيضاً مائة ميل وميلان، فمن ذلك إلى سد معاوية عشرون ميلاً وهي كثيرة الأهل والماء، ومن الأرحضية إلى المالحة أحد عشر ميلاً(١٤٦).

كما أقيم عدد من السدود على وادي العقيق قرب المدينة للاستفادة من مياه السيول، كسد عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان المعروف باسم سد وادي رانوناء(١٤٧)، وواجهة السد مدرجة، وله فتحة تصريف في الجهة الشرقية، وقد نقش على الواجهة الصخرية من الجهة الشمالية نص شعري يشير للسد، ويقدر تاريخه بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني للهجرة(١٤٨).

وأقامت الدولة الأموية سدوداً أخرى في مكة المكرمة لحماية المسجد الحرام والمشاعر المقدسة من فيضان السيول في مواسم الأمطار، وهي ثلاثة سدود على مفيض جبال مشعري منى ومزدلفة، على يد الحجاج بن يوسف الثقفي بين عامي ٧٣ هـ و٧٥ هـ في أثناء ولايته على مكة في خلافة عبدالملك بن مروان(١٤٩).

---

(١٤٤) Kay, Op. Cit,p. 68-73.

(١٤٥) **بلاد العرب**، ص ٤٠١.

(١٤٦) الحربي، **المناسك**، ص ٤١٣.

(١٤٧) السمهودي، **وفاء الوفاء**، ج٣، ص ١٠٧٢.

(١٤٨) Kay, Op. Cit,p. 68-73.

(١٤٩) الفاكهي، **أخبار مكة**، ج٦، ص ص ٣٢٥–٣٣١.

وبنى خالد القسري والي الخليفة الأموي سليمان بن عبدالملك (٩٦-٩٩هـ/ ٧١٤ - ٧١٧م) على مكة المكرمة بين سنتي ٩٦هـ و٩٩هـ سداً بأمر من الخليفة سليمان نفسه، وكان هدفه توفير الماء العذب الزلال لأهل مكة عن طريق الاستفادة من مياه السيول، وبناه على شكل بركة، وقد ذكر الأزرقي خبر بناء السد المسمى بالثقبة، في كتابه "**أخبار مكة**" "فبنى سد الثقبة وأحكمه، ثم شق من هذه البركة عيناً تجري إلى المسجد الحرام، فأجراها في قصب من رصاص، حتى أظهرها في فوارة تسكب في فسقينة[١٥٠] من رخام بين زمزم والركن والمقام"[١٥١].

كما قامت زبيدة بنت جعفر ببناء بركة لحجز مياه السيول للاستفادة منها في سقيا الحجاج، عندما بلغها المشقة التي يجدها الحجيج في الحصول على ماء الشرب، كما ذكر الأزرقي[١٥٢].

وكان من أهداف إقامة السدود على الأودية الاستفادة من مياه السيول في زيادة مستوى المياه في الوادي؛ للحصول على جهد إروائي هو رفع المياه حتى تصب في القنوات للاستفادة منها في السقي والزراعة[١٥٣]، كما أنشئت مجموعة من السدود الترابية والحجرية المجصصة في عهد الدولة الأموية، خاصة في عهد الخليفة مروان بن محمد بن مروان (مروان الثاني) (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٤ - ٧٥٠م)، ومن أهم تلك السدود سد عاصم بن عمرو بن عمر بن عثمان بن عفان، الذي أقام سداً في شعب تضارع يحجز مياه الشعب للاستفادة منها في ري مزارع وبساتين قصره[١٥٤].

ويعد سد الرانوناء من السدود الحجرية في المدينة وعلى وادي الرانوناء، وتشير بعض المصادر إلى أن هذا السد أنشئ في عهد الخليفة الثاني عمر بن

---

(١٥٠) لم أجد لها تعريفاً، ولكن يبدو أنها مثل الإناء أو حوض الماء.

(١٥١) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج٢، ص ١٠٧.

(١٥٢) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج٢، ص٢٢٧.

(١٥٣) جواد. **المفصل**. ج ٧. ص ٢٠٩.

(١٥٤) Kay, Op. Cit,p. 68-73.

الخطاب، ومصادر أخرى تشير إلى أنه من بناء عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان. وهناك أيضاً سد صنعاء الذي بني بعد أن دهم السيل دار خوط صنعاء يوم الجمعة سنة ١٢٤هـ[١٥٥].

ومن الإجراءات المهمة التي اتبعها السكان لحماية المساكن والمنشآت العمرانية – بإذن الله – من الهدم، وجرف السيول اختيار مواد البناء التي تقاوم السيول، ففي اليمن أدرك المعماريون أن المباني لا بد أن تبنى بطريقة تحميها من خطر السيول الهابطة من قمم الجبال، وخاصة أن الوديان الخصبة غزيرة الأمطار تحيط بمدن اليمن، لذلك استعمل المعماريون مواد بنائية تقاوم عمليات التفتيت والتحلل والتجريف التي تقوم بها مياه الأمطار مثل مواد الحجر والآجر، وكذلك تغطية سطوح المنازل بمادة القضاض والجص لكي تسهل عملية تصريف المياه المتجمعة في السطوح عبر ميازيب إلى الخارج[١٥٦]، فقد ذكر ابن رسته في وصفه لمدينة صنعاء "وهي مبنية بالحجارة المهندمة، وأكثر سطوحها مفروشة بالجص لكثرة أمطارها"[١٥٧].

واستخدموا الأحجار في بناء الطوابق السفلية لكي تقاوم دفع السيول الجارفة التي تمر في شوارع المدينة آتية من الجبال المحيطة بها. وذكر ابن بطوطة أن "مدينة صنعاء مفروشة كلها، فإذا ما نزل المطر غسل جميع أزقتها"[١٥٨]، كما استخدموا الصهاريج لحجز مياه السيول، والاستفادة منها في سقيا السكان، كصهاريج جدة التي ذكرها اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ) في زيارته

---

(١٥٥) الصنعاني، يحيى بن جرير الطبري. (ت ٤٥٠هـ). **تاريخ صنعاء**. تحقيق: عبدالله محمد الحبشي. صنعاء. مكتبة السخاني. (د. ت). ص ص ٣٦–٣٧.

(١٥٦) الحداد، عبدالله عبدالسلام. (١٩٩٩). **صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية**. القاهرة. ط١. دار الآفاق العربية. ١٤١٩هـ. ص٢٧.

(١٥٧) ابن رسته. **الأعلاق النفيسة**. ص ٩٠.

(١٥٨) ابن بطوطة، محمد بن عبدالله. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. بيروت: دار الكتاب اللبناني. (د. ت). ص ١٦٨.

لجدة، وكان هذا النوع من الصهاريج المختص بحجز مياه السيول يبنى خارج المدينة، ويصل الماء إليها من السيول رأساً، وأصحابها يضطلعون بمهمة تنظيفها وحراستها ويوظفون لذلك مبالغ سنوية، وقد كان سقيا أهل جدة مقصوراً على هذه الصهاريج التي ليس ماؤها نبعاً، ولا جارياً، بل هو مخزون بعناية[١٥٩].

وكان نظام الصهاريج معروفاً في اليمن أيضاً لحجز مياه المطر[١٦٠]، ومن أشهرها صهاريج الطويلة في مدينة عدن، كونها أقدم خزانات مياه للشرب على المدن الساحلية، قال عنها الهمداني "هناك في مدينة عدن بؤر، أي حفر لحفظ مياه الأمطار، والانتفاع بها للشرب"[١٦١]، كما شق أهل صنعاء مجاري حتى لا يتعطل شيء من مياه السيول[١٦٢].

وتعد المدرجات الزراعية من أساليب جمع المياه وحصاد الأمطار، وهي إحدى العادات القديمة لليمنيين، وذلك بإقامة المدرجات على سفوح الجبال، حيث يتم تحويل مياه المنحدرات السائلة لسقي المدرجات وتخزين الفائض منها في الأراضي الزراعية[١٦٣]، كما عرفت اليمن ما يسمى بنظام الغيول، الذي يعتمد على نظام استجرار المياه، وتوجد غيول كثيرة في اليمن، خاصة المناطق التي تستقبل مياه الأمطار[١٦٤]، وذكر الهمداني أن وادي ضهر كثير الغيول[١٦٥]، كما

(١٥٩) اليعقوبي. **البلدان**. ص ١٥١.
(١٦٠) جواد. **المفصل**. ج٧. ص ص ١٦٨-١٦٩.
(١٦١) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص٥٤.
(١٦٢) ابن رسته، **الأعلاق النفيسة**، ج٧، ص ص ١١٠، ١١٢.
(١٦٣) القدسي، نعمان. **المنشآت المائية**. الفصل الأول.
(١٦٤) عسلان، عبدالوهاب محمد. (٢٠٠٠). **غيول صنعاء: دراسة تاريخية أثرية وثائقية**. دمشق. دار الفكر. ص ص ٦٣، ٦٧-٧٠.
(١٦٥) الهمداني، **صفة جزيرة العرب**، ص ٧٦.

اشتهرت صنعاء بالغيول، من أهمها غيل البرمكي الذي يعود بناؤه إلى النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، زمن الخليفة العباسي هارون الرشيد؛ حيث كان من بين أمرائه الذين ولاهم على صنعاء محمد بن خالد البرمكي، فقام هذا الأمير باستخراج غيل البرمكي وجره، ويعد أقدم الغيول المعروفة في صنعاء سنة ١٨٣هـ، وهو الغيل الذي حمل اسمه(١٦٦).

زد على ذلك دور الآبار في حفظ مياه السيول، فقد وصف اليعقوبي المدينة بأن فيها أربعة أودية يأتي ماؤها في وقت الأمطار والسيول من جبال بموضع يقال له حرة بني سليم، على مقدار عشرة فراسخ من المدينة منها بئر رومة وهي حفير بني مازن، وبئر عروة فيشرب أهل المدينة سائر السنة من هاتين البئرين وغيرهما من الآبار التي ليست لها شهرة هاتين البئرين، وبها آبار يسقى منها النخل والمزارع، تجرها النواضح وهي الإبل التي تعمل في الزرانيق(١٦٧)، كما عرفت عُمان ما يعرف بالأفلاج(١٦٨) وكان من مهامها اعتراض مياه السيول وتجميعها، وهي قناة محفورة في باطن الأرض، أو على سطحها سواء كانت مغطاة أو مكشوفة لتجميع المياه الجوفية، أو مياه العيون والينابيع الطبيعية، أو المياه السطحية، أو اعتراض وتجميع مياه السيول، بحيث يتم انتقال المياه المتجمعة من مواردها في قناة الفلج طبيعياً بواسطة قوة الجاذبية الأرضية فقط دون استعمال الآلات لرفعها(١٦٩).

---

(١٦٦) الرازي. **تاريخ مدينة صنعاء**. ص ١٥٥؛ القدسي. المنشآت المائية. الفصل الأول.

(١٦٧) اليعقوبي. **البلدان**. ص ١٥١. والزرانيق جمع زرنوق هما خشبتان أَو بناءان كالمِيلَين على شَفِير البئر من طين أَو حجارة التي يجري فيها الماء الذي يُسْتَقى بالزُّرْنوقِ. انظر: ابن منظور. لسان العرب، ج١٠، ص ص ١٤٠-١٤١.

(١٦٨) ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص ٢٧١.

(١٦٩) العبري، بدر. **الأفلاج العمانية**. حصاد ندوة الدراسات العمانية. مسقط. وزارة التراث القومي والثقافة. ذو الحجة ١٤٠٠/ نوفمبر ١٩٨٠. ج ٣. ص ص١٠-١١.

أضف إلى ذلك أن بناء الميازيب على سطوح الدور وغيرها من العمائر الدينية وغير الدينية في الجزيرة العربية لتصريف ما قد يهطل من أمطار أو سيول فجائية من حين لآخر؛ حيث وجد بالأسقف قنوات مائلة تدفع الماء إلى الميازيب؛ لمنع تراكم ماء السيول وتصريفها، ويُعَد القرشيون أول من وضعوا ميزاباً للكعبة المشرفة حين بنوها سنة ٣٥ من ولادة الرسول- ﷺ - حيث كانت قبل ذلك بلا سقف(١٧٠)، ثم لمَّا بناها عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - وضع لها ميزاباً، وجعل مصبه على حجر إسماعيل كما فعلت قريش، ولما أنقص منها الحجاج بن يوسف ما زاده فيها عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما -(١٧١)، كما احتوت منازل صنعاء باليمن على ميازيب لتصريف مياه الأمطار من السقف إلى الخارج بواسطة ميازيب خشبية تُصنع من جذوع أو قشور الأشجار، أو من الفخار على هيئة قنوات، وكانت كثرة هطول الأمطار الصيفية على اليمن سبباً في استخدام المعمار لمادة تعرف بالنورة (مادة كلسية تشبه الجص) لا تسمح بتسرب المياه من خلالها(١٧٢).

كما حرص المعمار اليمني أيضاً على التخلص من مياه الأمطار التي تتساقط في أرضية فناء المساجد والمدارس، وتصريفها إلى الخارج عن طريق فتحة ينخفض مستواها عن مستوى أرضية الفناء، وعرفت هذه الفتحة في اليمن باسم مخلل(١٧٣).

ونجد تأثيرات جنوب الجزيرة العربية على المنشآت المائية المستخدمة لخزن مياه السيول في وسط الجزيرة وشمالها، خاصة في نظام بناء مستودعات

(١٧٠) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج١، ص١٦٤.
(١٧١) الأزرقي، **أخبار مكة**، ج١، ص٢١٠.
(١٧٢) الحداد. **صنعاء**. ص٧٩.
(١٧٣) الحداد، عبدالله عبدالسلام. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **مدينة حيس اليمنية**. القاهرة: ط١. الآفاق العربية. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م. ص ٢٠٤.

حفظ مياه السيول، أو ما يسمى بالبرك التي نجدها في طريق الحاج إلى الأراضي المقدسة(١٧٤).

الخاتمة:

تعد السيول ظاهرة طبيعية عرفتها الجزيرة العربية منذ أقدم العصور، أدت إلى الكثير من الأضرار البشرية والمادية، والتغيرات السكانية والديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية، فقد تميزت جزيرة العرب بندرة الأنهار والبحيرات، وقلة سقوط الأمطار، لذلك أصبحت أكثر بقاعها صحراوية قليلة السكان، غير أنها كثيرة الأودية، تطغى عليها السيول عند سقوط الأمطار، فتصبح طاغية، وساعدت كثرة الأودية في جزيرة العرب على توفير مكان لهذه الأمطار الغزيرة للتجمع في هيئة سيول جارفة تدمر كل شيء يقف في طريقها.

وكان للسيول – خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى – آثار سلبية على مختلف الأصعدة، أدت إلى تعطيل بعض المناسبات الدينية كصلاة الجمعة، وتعطيل التجارة، وحصد الأرواح، وإهلاك المزارع والمحاصيل.

لكن على الرغم من الآثار السلبية للسيول من هدم المنشآت وتدمير الممتلكات، وإزهاق العديد من الأرواح فإن هناك جوانب إيجابية أخرى للسيول، فقد ابتكر سكان الجزيرة العربية طرقاً متنوعة لحفظ مياه السيول والتحكم في مساراتها، وتحويلها من عامل هدم إلى عامل بناء، وطوروا منها مشاريع تخدم احتياجاتهم الحياتية، من إقامة السدود والصهاريج والغيول وغيرها.

ومن ثمرات حصد السيول وخزنها: حفظ بعض مياه السيول والحيلولة دون تبخرها، أو تسربها إلى الأرض، وتوفير مياه للسقي أو للري؛ مما أدى إلى ازدهار الزراعة في المناطق التي تتوافر فيها هذه الوسائل، وكانت سبباً في

---

(١٧٤) الراشد، سعد عبدالعزيز. (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م). **الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عهد الرسول – عليه السلام – والخلفاء الراشدين**". الندوة العالمية الثالثة لتاريخ الجزيرة العربية. الرياض. جامعة الملك سعود. ص ١٦٥.

تضاعف الإنتاج الزراعي، كما أنها كانت تمد البيوت والمزارع بالمياه العذبة، وساعدت كميات المياه المحجوزة على زيادة منسوب المياه في الآبار والعيون.

ولا شك أن ابتكار الإنسان في الجزيرة العربية طرقاً للاستفادة من مياه السيول، وتوجيهها للنفع العام يدل على عبقريته، وقدرته على التكيف مع ظروف بيئته؛ لذلك توصي الدراسة بالاستفادة من تجربة سكان الجزيرة خلال القرون الهجرية الثلاثة الأولى في توجيه السيول وجهة إيجابية في إقامة مشاريع للتنمية المستدامة، بما يخدم المجتمع على المديين القريب والبعيد.

المصادر والمراجع

أولاً – المصادر:

- القرآن الكريم.
- ابن الأثير، علي بن محمد الجزري. (ت ٦٣٠هـ).
- ـــ **الكامل في التاريخ**. تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري. بيروت: ط١. دار الكتاب العربي. ١٤١٧هـ.
- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد بن الأزرق الغساني المكي. (ت ٢٥٠هـ). **أخبار مكة**. تحقيق: رشدي الصالح. بيروت: دار الأندلس للنشر. (د. ت).
- الأنباري، محمد بن القاسم. (ت٣٢٨هـ). **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات**. تحقيق: عبدالسلام هارون. القاهرة. ١٩٦٣.
- السلمي، عرام بن الأصبغ (من أهل القرن الثاني الهجري). (١٩٩٠). **كتاب أسماء جبال تهامة وجبال مكة والمدينة**. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الأصفهاني، الحسن بن عبدالله (ت: القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي). (١٩٦٨). **بلاد العرب**. تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي. الرياض: دار اليمامة.
- ابن بطوطة، محمد بن عبدالله. **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**. بيروت: دار الكتاب اللبناني. (د.ت).
- البخاري، أبو عبداللَّه محمد بن إسماعيل. (ت ٢٥٦هـ). **الصحيح**. موسوعة الكتب الستة. بإشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. الرياض. ط٣. دار السلام. ١٤٢١هـ.
- البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري الأندلسي. (ت٤٨٧هـ).

(١٩٨٣). **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**. تحقيق: مصطفى السقا. بيروت. ط٣. عالم الكتب. ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

- البلادي، أحمد بن يحيى. (ت ٢٧٩هـ). (١٩٩٦). **أنساب الأشراف**. تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي. بيروت. ط١. دار الفكر للطباعة والنشر. ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.
- ـــــــــــــ. **فتوح البلدان**. تحقيق رضوان محمد رضوان. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٤١٢هـ.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. (ت ٢٧٩هـ). **سنن الترمذي**. موسوعة الكتب الستة. بإشراف ومراجعة: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ. الرياض. ط٣. دار السلام. ١٤٢١هـ.
- الحربي، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق. (ت ١٩٨هـ/٨١٣م). (١٩٦٩). **المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة**. تحقيق: حمد الجاسر. الرياض: دار اليمامة.
- ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي. (٣٦٧هـ). **صورة الأرض**. بيروت: دار مكتبة الحياة. (د. ت).
- ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ). **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**. تحقيق: إحسان عباس. بيروت: دار صادر. (د. ت).
- الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (ت ٧٤٨هـ). **سير أعلام النبلاء**. بيروت: مؤسسة الرسالة. ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- الرازي، أحمد بن عبدالله. (ت ٤٦٠هـ). **تاريخ مدينة صنعاء**. تحقيق: حسين العمري. دمشق. ط٣. دار الفكر. ١٤٠٩هـ.
- ابن رستة، أبو علي أحمد بن عمر. (ت:٢٩٠هـ / ٩١٢م). **الأعلاق النفيسة**. بيروت. ط ١. دار إحياء التراث العربي. ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

- ابن سعد، محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ). **الطبقات الكبرى**. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤١٠هـ.
- السمهودي، نور الدين علي. (ت٩١١هـ). **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**. ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م.
- السهيلي، عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي. (ت ٥٨١هـ). **الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث رسول الله** ﷺ وروى. تحقيق: مجدي ابن منصور بن سيد الشورى. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. (د. ت).
- الشافعي، بو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي القرشي المكي. (ت٢٠٤هـ). **كتاب الأم**. بيروت: دار المعرفة. ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ابن شبة، عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة النميري البصري. (ت٢٦٢هـ). **تاريخ المدينة**. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. جدة. ١٣٩٩هـ.
- الصنعاني. (ت ٤٥٠هـ)، يحيى بن جرير الطبري. **تاريخ صنعاء**. تحقيق: عبدالله محمد الحبشي. صنعاء: مكتبة السخاني. (د. ت).
- الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ). **البيان في تفسير آي القرآن**. بيروت: دار الجيل. ١٤٠٧هـ.
- ـــــــــــــ تاريخ الرسل والملوك. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤٢٢هـ.
- ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله. (ت ٤٦٣هـ)**. الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. بيروت: دار الجيل. ١٤١٢هـ.
- أبو عبيد، القاسم بن سلام. (ت ٢٢٤هـ). **كتاب الأموال**. تحقيق: محمد خليل هراس. القاهرة: دار الفكر. ط ٢. ١٩٣٥هـ/ ١٩٧٥م.
- الفاسي، محمد بن أحمد. (ت ٨٣٢هـ). **شفاء الغرام**. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

- ـــــــــــــــ **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**. تحقيق: محمد عبدالقادر عطا. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤١٩هـ.
- الفاكهي، أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن العباس المكي. (ت ٢٧٢هـ). **أخبار مكة**. تحقيق: عبدالملك عبدالله دهيش. بيروت. ط٢. دار خضر. ١٤١٤هـ.
- ابن فهد، حمد بن محمد. (ت٨٧١ هـ). **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**. تحقيق: فهيم شلتوت. القاهرة: ط١. مكتبة الخانجي. ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (ت ٧٧٤هـ). **تفسير القرآن العظيم**. صحح بإشراف فضيلة الشيخ خليل الميس. بيروت. ط٢. دار القلم. (د. ت).
- ـــــــــــــــ **البداية والنهاية**. بيروت: دار الفكر. ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
- مالك، مالك بن أنس الأصبحي. (ت١٧٩هـ). **موطأ مالك**. تحقيق: محمد عبدالباقي. القاهرة. دار إحياء التراث العربي. (د.ت).
- ابن المجاور، يوسف بن يعقوب. (٦٩٠هـ/ ١٩٩٠م). **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة تاريخ المستبصر**. تحقيق: ممدوح حسن محمد. بور سعيد: مكتبة الثقافة الدينية.
- المعافى بن زكريا، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني. (ت٣٩٠هـ). **الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي**. بيروت. ط١. دار الكتب العلمية. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- المراغي، زين الدين أبو بكر البلادي. (ت ٨١٦هـ). **تحقيق النصرة بمعالم دار الهجرة**. تحقيق: محمد عبدالجواد الأصمعي. المدينة المنورة. ط٢. المكتبة العلمية. ١٤٠١هـ.
- المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي. (ت ٣٤٥هـ /

٩٥٦م). **مروج الذهب ومعادن الجوهر.** تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. بيروت: دار المعرفة. ١٩٨٢.

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور. (ت ٧١١هـ). **لسان العرب**. الرياض. ط٣. مكتبة الرشد. ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤.
- ابن هشام، عبدالملك المعافري. (ت ٢١٣هـ). **السيرة النبوية**. تحقيق مصطفى السقا وآخرون. بيروت: دار الكتب العلمية. (د.ت).
- الهمداني، الحسن بن أحمد (ت ٣٣٤هـ). **صفة جزيرة العرب**. ليدن: مطبعة بريل. ١٨٨٤م.
- الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني الواقدي. (ت ٢٠٧هـ). **المغازي**. تحقيق: مارسدن جونس. بيروت. ط ٣. دار الأعلمي. ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
- الورثيلاني، الحسين بن محمد الورثيلاني. (ت١١٩٣هـ). **نزهة الأنظار في فضائل علم التاريخ والأخبار**. بيروت. ط٢. دار الكتاب العربي.
- الحموي، ياقوت؛ شهاب الدين بن أبي عبدالله. (ت ٨٧٦هـ/١٢٢٨م). **معجم البلدان.** تحقيق: فريد عبدالعزيز الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية. د. ط.
- اليعقوبي، وضاح. (ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م). **كتاب البلدان**. بيروت. ط١. دار إحياء التراث العربي. ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت١٨٢هـ). **الخراج**. تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، سعد حسن محمد. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

ثانياً – المراجع العربية والمعربة:

- البلادي، عاتق. (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م). معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، مكة. ط١، دار مكة للنشر والتوزيع.
- ـــــــــــــ (١٤٣٠هـ/ ٢٠١٠م). **معجم معالم الحجاز**. مكة. ط٢. دار مكة للنشر والتوزيع.

- جرامون، روبرت لافون. (١٩٧٧). **التلوث**. ترجمة: نادية القباني. مراجعة: جورج عزيز. الطبعة العربية. جنيف: شركة ترادكسيم.
- ابن جنيد، سعد بن عبدالله. (١٤١٩هـ/١٩٩٩م). **معجم الأمكن الوارد ذكرها في البخاري**. الرياض. الدارة.
- جواد، علي. (٢٠٠١). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام. بغداد: ط٢. دار الساقي.
- الحداد، عبدالله عبدالسلام. (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م). **صنعاء تاريخها ومنازلها الأثرية**. القاهرة. ط١. دار الآفاق العربية.
- ـــــــــــــ **مدينة حيس اليمنية**. القاهرة. ط١. الآفاق العربية. ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- حصاد ندوة الدراسات العمانية. مسقط. وزارة التراث القومي والثقافة. ذو الحجة. ١٤٠٠/ نوفمبر ١٩٨٠. ج٢.
- خليف، يوسف. **الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي**. دار المعارف. (د. ت).
- حتى، فيليب. (١٩٦١). **تاريخ العرب المطول**. بيروت. ط٣. دار الكشاف.
- سلامة، صلاح عبدالعزيز. (١٤٢٠هـ). **أخبار المدينة المنورة من تاريخ ابن زبالة**. جمع النصوص ودراسة المنهج. رسالة ماجستير غير منشورة. مكة المكرمة. جامعة أم القرى. إشراف: فواز الدهاس.
- الشريف، أحمد. (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م). **مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول**. بيروت: دار الفكر العربي. القاهرة.
- الراشد، سعد عبدالعزيز. (١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م). **الآثار الإسلامية في الجزيرة العربية في عهد الرسول – عليه السلام – والخلفاء الراشدين**. الندوة العالمية الثالثة لتاريخ الجزيرة العربية. الرياض. جامعة الملك سعود.

- الشيال، علي حسين. (٢٠١٠). **دور العرب في تشييد القنوات الإروائية**. مجلة سر من رأى. العدد ٢٢. السنة السادسة/ تشرين الأول.
- زيدان، جرجي. (١٩٠٨). **العرب قبل الإسلام**. مصر.
- الزيلعي، أحمد. **مخلاف عثر في القرنين الثالث والرابع الهجريين**. دراسات في تاريخ الجزيرة العربية. الكتاب الخامس. الرياض: قسم الآثار والمتاحف. جامعة الملك سعود.
- العبري، بدر. **الأفلاج العمانية**. حصاد ندوة الدراسات العمانية. مسقط. وزارة التراث القومي والثقافة. ذو الحجة. ١٤٠٠/ نوفمبر ١٩٨٠. ج ٣.
- ابن العثيمين، محمد الصالح. (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م). **مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين**. الرياض. ط١. دار الثريا.
- عسلان عبدالوهاب محمد. (٢٠٠٠). **غيول صنعاء: دراسة تاريخية أثرية وثائقية**. دمشق: دار الفكر.
- العقيلي، محمد بن أحمد. (١٣٧٨هـ). **المخلاف السليماني في التاريخ السياسي والاجتماعي**.
- العلي، صالح أحمد. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م). **الحجاز في صدر الإسلام دراسات في أحواله العمرانية والإدارية**. بيروت. ط١. مؤسسة الرسالة.
- فاروق، عمر. (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). **الإمامة الإباضية في عمان دراسة تاريخية**. الأردن. جامعة آل البيت.
- القدسي، محمد عبدالباري. ونعمان، عبدالله عبدالقادر. (٢٠٠٦). **المنشآت المائية وأنظمة الري في الحضارة اليمنية القديمة**. في "**نوافذ على الماء والحضارة في بلاد العرب**". جامعة الدول العربية. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- الكاندهولي، محمد بن زكريا. (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م). **أوجز المسالك إلى موطأ مالك**. تحقيق: تقي الدين الندوي. دمشق. ط١. دار القلم.
- محمدين، محمد محمود. **الزراعة والري في الحجاز**. مجلة دراسات

تاريخ الجزيرة العربية. الرياض. جامعة الملك سعود. ع٣. ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٧م.

- مطر، فوزية حسين. (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م). **تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف إلى نهاية العصر العباسي الأول**. رسالة ماجستير. جدة. جامعة الملك عبدالعزيز.
- المعالم التاريخية في وادي السدر بمكة. صحيفة مكة. الثلاثاء ١٨ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ – ٧ أبريل ٢٠١٥.
- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (٢٠٠٥). **المرجع في تاريخ الأمة العربية**. تونس.
- المنذري، محمد بن ناصر بن راشد. (٢٠٠٨). **تاريخ صحار السياسي والحضاري: من ظهور الإسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري**. بيروت. ط١. دار العلوم العربية للطباعة والنشر.
- الندوي، أبو الحسن علي الحسني. (١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م). **السيرة النبوية**. مكة المكرمة. ط٨. دار الشروق.
- النعيم، نورة عالي النعيم. **التاريخ الاقتصادي في الجزيرة العربية في الفترة من القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثالث الميلادي**. الرياض: دار الشواف. (د. ت).
- هلند، ربرت. (٢٠١٠). **تاريخ العرب في جزيرة العرب من العصر البرونزي إلى صدر الإسلام ٣٢٠٠ ق م – ٦٣٠م**. ترجمة: عدنان حسن. بيروت. ط١. شركة قدمس للنشر والتوزيع.
- وهبة، حافظ. (١٩٦١). **جزيرة العرب في القرن العشرين**. القاهرة. ط٤. مكتبة النهضة المصرية.

ثالثاً – المراجع الاجنبية:

- Kay, Shirley. (1978). *Some ancient dams of the Hejaz*, Proceedings of the 11th Seminar for Arabian Studies, 8.

- Semple, Ellen Churchill. (1927). *Influences of geographic environment on the Basis of Ratzel's System of Anthropo-Geography*, Library of Alexandria.
- Zwemer, Samuel Marinus. (1990). *The Cradle of Islam: Studies in the Geography, People and Politics of the Peninsula, with an Account of Islam and Mission Work*, Chicago, fleming revell company.

ملحق الخرائط والجداول

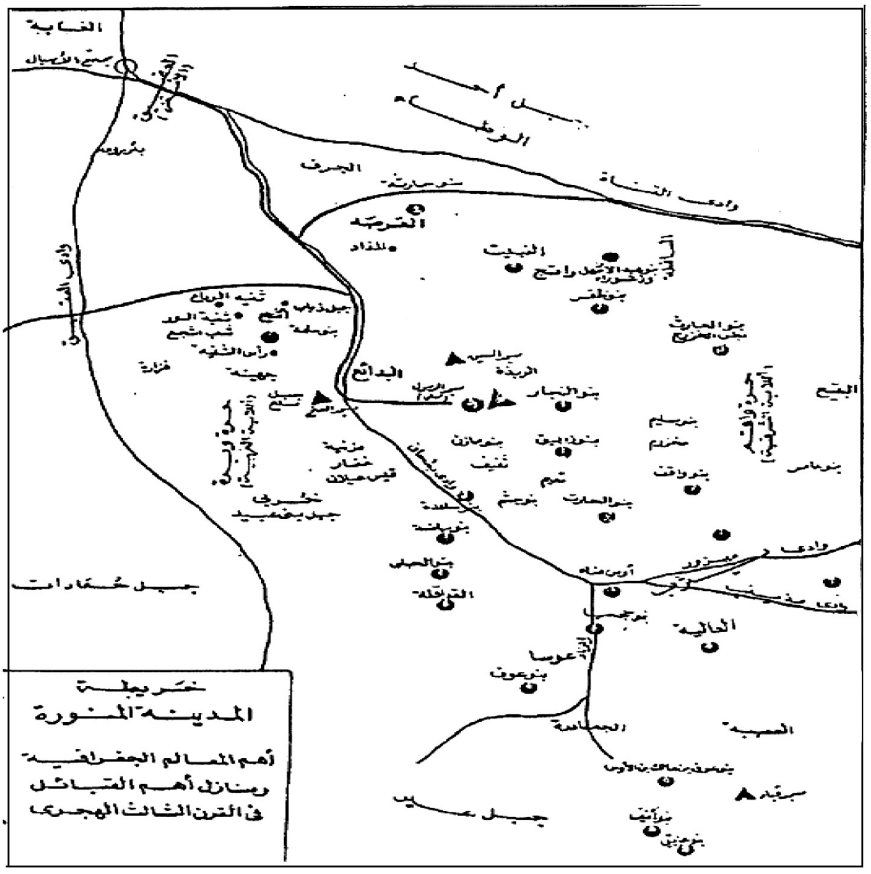

الخريطة (١) – تُظهر هذه الخريطة مواقع أودية المدينة المنورة مثل العقيق، والغابة، وقناة وغيرها التي كانت تتعرض للسيول، كما تُظهر الخريطة أيضاً منطقة تجمع السيول "مجمع الأسيال".

انظر: سلامة، صلاح عبدالعزيز، أخبار المدينة المنورة من تاريخ ابن زبالة، جمع النصوص ودراسة المنهج، رسالة ماجستير غير منشورة، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، إشراف: فواز الدهاس، ١٤٢٠/ ١٤٢١هـ، ص ٢٢٥.

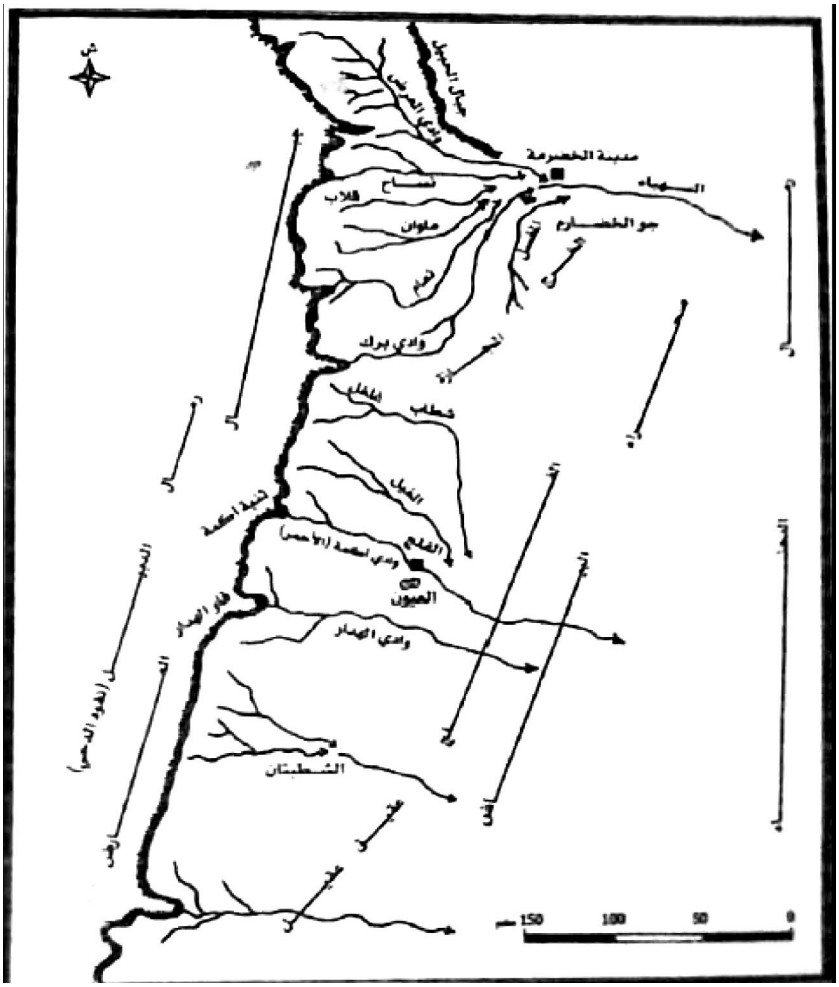

الخريطة (٢) – أودية الفلج وجو الخضارم والخرج (وهي من مناطق السيول) كما وردت عند الهمداني.

انظر: الدامغ. بلاد الفلج. ص ٨٠.

الجدول (١)

الحدود الفاصلة بين تردد السيول خلال القرون الهجرية الثلاثة (١هـ/٧م – القرن ٣هـ/٩م)

حدود التردد (القرن ١هـ/ ٧م – القرن ٣هـ/ ٩م)	السنة	المنطقة	عدد	حدود دنيا	حدود متوسطة	حدود قصوى
القرن ١هـ/ القرن ٧م	٩هـ	بيشة	٨	بين سنة وثماني سنوات	بين ٢٠ و٢١ سنة	بين٥٨ و٦٥ سنة
	هـ	الكديد				
	خلافة أبي بكر –رضي الله عنه–	اليمن				
	خلافة عثمان –رضي الله عنه–	المدينة				
	٨٠هـ	مكة				
	٨٤هـ	مكة				
	٨٨هـ	مكة				
	سنة ٩٩هـ	مكة				
القرن ٢هـ/ القرن ٨م	١٠٤هـ	مكة	٤	٤ سنوات	١٦ سنة	٣٦سنة
	١٢٠هـ	مكة				
	١٢٤هـ	صنعاء				
	١٦٠هـ	مكة				
القرن ٣هـ/ القرن ٩م	٢٠٢هـ	مكة	٩	بين سنة وسبع سنوات	١٧ سنة	لا يوجد
	٢٠٨هـ	مكة				
	٢٥١هـ	عمان				
	٢٥٣هـ	مكة				
	٢٦٢هـ	مكة				
	٢٦٣هـ	مكة				
	٢٨١هـ	مكة				
	٢٨٠هـ	مكة				
	٢٩٧هـ	مكة				

يتضح من الجدول السابق أن الحدود الفاصلة بين تردد السيول خلال القرن الثالث الهجري يحتل الصدارة مقارنة بالقرنين الأول والثاني.